

UNIVERSAL
LIBRARY

OU 190098

UNIVERSAL
LIBRARY

الإسلام في الحبشة

وثائق صحيحة قيمة ، عن أحوال المسلمين في مملكة أثيوبيا ،
من شروق شمس الاسلام ، إلى هذه الأيام

تأليف



مفتش الآثار العربية سابقاً ، ومدرس الخط الكوفي
بمدرسة تحسين الخطوط الملكية

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

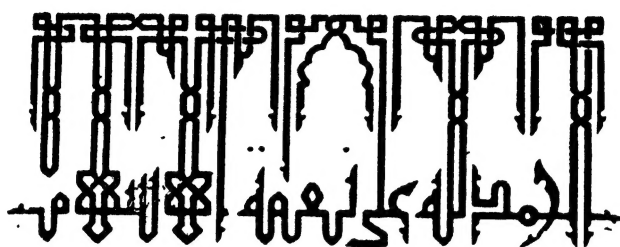
القاهرة في شعبان سنة ١٣٥٤ هـ (نوفمبر سنة ١٩٣٥ م)

مطبعة حجازي بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

سورة الفاتحة

CHECKED 1958



الحمد لله على نعمته الاسلام

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام ، الذى جاء
بالمهدى ودين الحق ، فأنا نور هديه غياهب الظلام ،
وحلّ بشريعته عقدة التباغض بين الخلق ، وأحلّ محلها
المحبة والوئام ، وعلى آله ، وأصحابه ، الطيبين ، الطاهرين ،
الكرام ، الذين أقاموا العدل ، وحكموا به ، فكانوا للفضيلة
خير أئمة ، وللهداية نعم الأعلام ، فقضوا بفصل قضائهم
على الشرور والآثام ، ونشروا بالخير على البسيطة أجنحة
السلام .

رضى الله عنهم وأرضاهم ماتوا بالأيام ؟

أما بعد : فانا نغتني فرصة عطف الشعوب الاسلامية ، في مختلف
الاقطار ، على مساعدة الحبشة ، فبين لهم حال الاسلام ، والمسلمين ، في
الحبشة ، من وقت أن هاجر إليها طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ هرباً من
ظلم قريش ، إلى هذه الأيام . علمهم بعد أن يقرأوا هذه الوثائق الصحيحة ،
بطالبون «التجاشي» العاهل الشرقي العظيم «جلالة هيلاسيلاسي» تلقاء هذا العطف
العام ، بأن يتوجه ، بعد أن تضع الحرب أوزارها ، إلى إصلاح شؤون المسلمين
في بلاده ، وإلى كف الأذى عنهم . وأن يتركهم يتمتعون بثمرات قوتهم
ونشاطهم ، وذكائهم . وأن يماثل بينهم . وبين أبناء الحبشة المسيحيين ، في
العدل ، فيفك عن أعناق المسلمين . ما وضعه فيها أسلافه ، من أغلال الضغط
على حريتهم في الدين ، والتجارة ، والصناعة ، والزراعة . وأن يمنع
عدوان الرؤس الجبابة عن أموالهم - إلا بحق - وأن يصون أرواحهم
وأعراضهم . فانه إن فعل ذلك ، سما بمملكته الشرقية ، أديا ، واقتصاديا ،
وسلم من نقد الناقدين ، وألسنة الناقلين ، ولا نخاله إلا فاعلاً ذلك إن شاء
الله تعالى .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

تعميد

قام بعض الكتاب يُذكَرُ المسلمين بما للحبشة عليهم من حق قديم ،
أوجبه عليه ما فعلوه مع المسلمين ، المهاجرين ؛ من أصحاب رسول الله
ﷺ حينما هاجروا إلى الحبشة ، هرباً من أذى كفار مكة . فأجارهم
النجاشي ، وأحسن مشواهم

وقالوا : ان ما فعلته الحبشة مع المهاجرين يعدّ مكرمة خالدة لا يجب
أن تنسى

ونحن وان كنّا ممن يحفظون الجليل ، ويخضعون للحق ، الا أننا
أحببنا أن نبين للمسلمين ، ارتباط الحبشة بالاسلام - قديماً وحديثاً - على الوجه
الصحيح . ليعرفوا ما لهم ، وما عليهم نحوها ، حتى يكونوا على بينة من الامر ،
وليدركوا بان عطفهم على الحبشة لم يكن زهداً لجميل سابق لها على الاسلام ،
بل لأنها دولة شرقية ، تحاربها دولة غربية

وان شئت فقل : لأن الانسان جبل بطبعه على الانتصار للضعيف .
ويصح أن يكون هذا هو السبب الأقوى — لأنه يشترك معناني العطف
عليها كثير من الناس ، على اختلاف أديانهم ، وتباين أوطانهم .
وحسبك ما فعلته « جمعية عصابة الامم » من العطف الجدّي على
الحبشة — وان كان بعضه مشابهاً بشئ من المصلحة الخاصة —

أما إيواء الصحابة المهاجرين ، وإكرامهم ، فالفضل فيه ، يرجع إلى

شخص واحد من الحبشة فقط . وهو « النجاشي أصحمة » ^(١) فقد كان رجلا عالما بالتوراة والإنجيل ، مصدقا بالبشارة براكب الجمل .
فلما جاءه المهاجرون ، أكرم مشواهم ، وحماهم من الشعب الحبشي وبطارقته .

ثم أسلم على يدى جعفر بن أبى طالب ابن عم النبى محمد ﷺ وحسن اسلامه . ولم يعتنق الاسلام من الحبشة يومئذ سواه . وقد ستر اسلامه عن قومه حتى مات . وهذا مادعى مؤرخى الأفرنج إلى عدم اقتناعهم بأنه أسلم .
وقد نعى للنبي ﷺ صلى عليه صلاة الغائب . ولم يصل عليه أحد فى الحبشة ، لأن موته كان بعد عودة المهاجرين كلهم إلى المدينة .

(١) قال صادق باشا العظم فى رحلته إلى الحبشة سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) فى صفحة ١٨٦ : سألت أتوهيلا مريم ترجمان رأس ما كونن عن النجاشي فقال اسمه بالاحرى « اجها » وأنه كان حاكما فى جوار « تبحنى دنسا » كما ان أخاه ابرهة كان يحكم فى « أقسوم » اه
نقول : ان ابرهة المذكور هنا ، هو غير « ابرهة الأشرم » صاحب واقعة الفيل ، الآتى ذكرها .

وقال فى صفحة ١٩٣ : وسألت الحاج محمد من عشيرة بنى عقيل ، ومن علماء « دتو » عن النجاشي المذكور ، فقال : ان اسمه « اصحمة » أى « عطية » وهو مدفون فى محل يسمى « متكل العلامة » من أعمال مقاطعة « تيغرى »
وكان سيدنا جعفر بن أبى طالب لقيه فى المحل المذكور ، وهو قريب من عقامه (اغامى) وينعقد فيه كل سنة سوق كبير ، يأتى اليه ألوف من المسلمين والمسيحيين لزيارة قبر النجاشي . اه ملخصا
وفى الجواهر الحسان : ان قبره ببلدة « احمدنجاشي » بقرب حوزين بأقليم تغرى

أما البطارقة - من قسيسين ورهبان - فقد لحق المهاجرين منهم ، من الأذى ، والتخويف ، مالحقهم ، كما هو ثابت في كتب الحديث والسير ، مما كان بعضه سبباً في ارتداد أحد المهاجرين عن الاسلام ، وهو «عبيدالله بن جحش» وقد اعتنق النصرانية ، لينجو بها من الاضطهاد .

وقد همت البطارقة باحداث ثورة على النجاشي لعطفه على المهاجرين كما ستراء مفصلاً فيما بعد .

ثم لا يخفى على المؤرخ المدقق ان عداوة الشعب الحبشى للعرب قديمة العهد ، نشأت من وقت ان كان عرب اليمن يخطفون الأحباش من سواحل الحبشة ، ويبيعونهم أرقاءً في جزيرة العرب ، وغيرها

وزادت هذه العداوة ، بعد عام الفيل ، وما جرّه من الويل على جنود الحبشة ، واستعانة العرب بعد ذلك بالفرس ، على طرد الحبشة من اليمن ، بعد أن استعمروها نحو ٧٠ سنة .

فلما دخل العرب المسلمون بعد ذلك إلى الحبشة يدعونهم إلى الاسلام ، وجدوا منهم أعداءً الداء .

ثم دار بينهم النضال من القرن الأول الهجرى ، إلى يومنا هذا مما سنوضحه جلياً في هذا الكتاب بمعونة الله تعالى ، وحسن توفيقه .

علاقة الحبشة بالعرب

ترجع علاقة الحبشة بالعرب إلى عصر عريق في القدم ، يتبدى من وقت أن عرف العرب حاجتهم إلى الرقيق ، ليرعى إبلهم ، ويحلب نياقهم ؛ ويقوم بخدمتهم

وقد كانت سفن اليمين تسطو على سواحل الحبشة ، تتخطف نساءهم ، وأبناءهم ، وتبيعهم عبيدًا في أنحاء جزيرة العرب ، وغيرها .

ودلنا على ذلك قدم عهد العبيد ، والإماء الأحباش ، في بلاد العرب ، يتخذون من الرجال رعاة ؛ ومن الإماء خدماً للبيوت

وكانوا إذا استولدوا أمة ، أبقوا أولادها على الرق ، إلا من ظهرت نجابتها ، وشجاعته منهم ، فانهم كانوا يلحقونه بأنسابهم ، كخُفاف بن ثُدْبه ، أبوه « عمير السلمي » وعنترة بن زَيْبَة ، أبوه « شداد العبسي » وغيرهما ، ممن اشتهروا بالفروسية في القرن الأول قبل الهجرة (١)

فاذا عرفت ذلك ؛ أدركت كيف نشأت عداوة الحبشة من القدم ، لقوم يسطون عليهم ، بين آونة وأخرى ؛ يخطفون أبناءهم ونساءهم ؛ ثم يبيعونهم سلعاً ؛ ويسترقونهم .

احتلال الحبشة لليمن

ذكر مؤرخو العرب خبر احتلال الحبشة لليمن ، بروايات ، مطولة ، خلاصتها : أن أحـد ملوك اليمين واسمه « ذو نواس » كان يهودياً ، وكان يحمل الناس على اعتناق اليهودية .

(١) ومن فكيه أدعية العرب الجاهلية في حجهم « اللهم وفق بين نساتنا ، وفرق بين رعائنا » يرون أنه إذا وقع الشقاق بين عبيدهم ، تسابقوا الى المراعى الخصبة . وإذا اتفقوا اجتمعوا على الغناء والرقص ، فلا تشبع إبلهم .

وكان أهل نجران نصارى ، وفيهم قليل من اليهود . فجاء إلى ذى نواس
يهودى يتظلم من نصارى نجران ؛ ويزعم أنهم قتلوا ابنآ له

فغضب ذو نواس ، وغزاهم ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وحمل من بقي
منهم على الدخول فى اليهودية ، فأبوا

فصنع لهم أخدودا فى الأرض ، وملاءه نارآ ، ثم عرضهم عليه . فمن
دخل فى اليهودية خلى سبيله ، ومن أبى ألقاه فى الأخدود . وهو الذى ذكره
الله تعالى فى كتابه الكريم بقوله : « قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ
الْوَقُودِ » (١) فأقلت منهم رجل ، يدعى « ذو ثعلبان » حتى أتى « قيصر »
ملك الروم ، يستنصره على ذى نواس ، فأرسله الى ملك الحبشة ، وكتب
اليه يأمره بنصرته .

فارسل ملك الحبشة معه جيشا بقيادة رجل اسمه « ارياط » فدخل
الين ، واحتلها باسم « النجاشى » ملك الحبشة ، بعد أن قتل ، وسبى ، وخرّب
البلاد . فولاه « النجاشى » ماضمه اليه من أرض الين

وكان فى عسكره رجل داهية ، يسمى « ابرهة الأشرم » نازعه الملك ،
ثم اقتتلا . فقتله ابرهة ، واستقل بالامر . فأقره « النجاشى » على ملك الين .
وهكذا استنجدت العرب بالحبشة ، على رفع ظلم ، نالها من عاهلها ،
فاحتلت بلادها ، فكانت كما قال الشاعر :

« المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار »

لأن أبرهة حينما تم له الأمر ، بنى فى « صنعاء » كنيسة ، سماها القلئس وكتب الى « النجاشى » : « انى قد بنيت لك كنيسة لم ير مثلمها . وسأصرف اليها حاج العرب »

وكانت العرب فى جاهليتها تحج الى البيت العتيق ، بمكة . وشاع بينهم ما عزم عليه « أبرهة » فجاء رجل من « بنى فقيم » فدخل القلئس ، وأحدث فيه نكاية فى « أبرهة »

فبلغ أبرهة ذلك ، فأقسم ليهد من البيت الذى تحج اليه العرب ثم جهز جيشا من الحبشة ، وسار فى مقدمته راكباً الفيل ، حتى بلغ « الطائف » فارسلت معه « ثقيف » دليلاً اسمه « أبو رغال » يدلّه على « مكة » ، فسار حتى إذا بلغ — مكاناً بقرب مكة — يدعى « المغمس » — هلك أبو رغال . والعرب ترجم قبره فيه إلى الآن

أما أبرهة : فأقام فى « المغمس » ، وأرسل نفرأ من جيشه ، فاستاقوا ابل مكة ، وفيهم مائتا بعير لعبد المطلب سيد قريش

ثم ان أبرهة استقدم عبد المطلب اليه ، وهو جد النبي محمد ﷺ وكان رجلاً عظيماً وسيماً . فأجله أبرهة ، وأخبره أنه جاء ليهدم البيت ، وأنه لا يريد حرباً

ثم سأل عبد المطلب عن حاجته ، فقال : « حاجتى ان تردّ إلى ابل »

قال أبرهة : « أتطلب اهلك وتترك بيتنا لديك ، ودين آبائك ؟ »

فقال : « أنا ربُّ الابل ، وللبيت ربٌ يمنعهُ »

فردّ عليه ابله . وذهب عبد المطلب الى مكة ، وأمر قريشا أن تعتصم
بشعاب الجبال

ثم أمسك بحلقة باب الكعبة ، يسأل الله قهر الحبشة ، وخذلانهم ، وهو
يقول :

لاهمّ ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
الى أن قال :

جرؤوا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكتبنا فأمرنا ما بدالك «

ثم لحق بقومه الى شعب الجبال ، ينظر ما يفعل أبرهة .

أما أبرهة : فلما أصبح تهيأ لدخول مكة بجيشه ، ليهدم البيت ، وركب
فيله ، ووجهه الى مكة ، فبرك ، ولم يقم ، فضربوه ، وآذوه ، فلم يقم . فوجهه
إلى ناحية أخرى . فقام . فأداروه نحو مكة ، فبرك .

في هذه الساعة الرهيبة ، أرسل الله على أبرهة وجيشه جيشاً من جنوده
« وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ * وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ » (١)

وهذا الجيش طيور صغيرة جاءت تحمل حجارة دقيقة في أرجلها ومناقيرها .
وألقتها على أبرهة ، وجيشه ، فكانت لا تصيب أحداً إلا أهلكته
فارتدّ أبرهة ، ومن معه ، يتساقطون هلكي

وفي قصتهم نزلات « سورة الفيل » وهي قوله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ
كَهَافٍ مَاءٍ كُؤُلٍ »

فلما هلك أبرهة ، ومن معه ، من الحبشة ، قام بملك اليمن بعده ابنه
« يكسوم » وكان جباراً ، فأذل العرب ، وأذاقهم أمةً أنواع الظلم ، في اليمن
انتقاماً لأبيه وقومه .

فذهب سيف بن ذى يزن الى « كسرى » واستنصره على الحبشة ، وحسن
إليه ضم اليمن الى ملكه ، لما فيها من خير . فأرسل معه جيشاً قوياً تمكن من
سحق من في اليمن من الحبشة ، واحتلتها . وسبى ما بقى من نساءهم ، وأولادهم
فازداد بهذا حقد الحبشة على العرب ، لأنهم كانوا سبب اجلائهم عن
اليمن ، بعد أن احتلوها نحو ٧٠ سنة مع ابادة رجالهم ، واسترقاق
نساءهم ، وذرائعهم .

هجرة الصحابة الى الحبشة

وما لاقوه فيها من كرم « النجاشي » ، وأذى البطارقة

ان ما جبل عليه أصحاب الرسول ﷺ من مكارم الأخلاق ، وحفظ
الجيل ، واحتمال الأذى ، في بدء الاسلام ، جعلهم يذكرون ما نالهم من
« النجاشي » من كرم ، وحسن جوار ، ويكتمون ما لحقهم من بطارقة الحبشة
من الأذى ، والتهديد ، والتخويف

ولهذا لم ينشر المسلمون عن ذلك شيئاً ، ولم يخوضوا فيه .

ولكن الحقيقة لا تخفى على الباحث المدقق

وسترى بعد أن نسرد حديث الهجرة إلى الحبشة ملخصاً من كتب السير والحديث ، أن إقامة الصحابة الطاهرين ، رضوان الله عليهم ، في الحبشة ، في هجرتهم ، كانت محفوفة بالمكاره

ولولا «النجاشي أحممة» وقوة سلطانه ، لا كرهوا على الدخول في النصرانية أو القتل ، أو أعيدوا إلى «مكة» لكفار قريش ، يفعلون بهم ما يشاءون .

الهجرة الأولى

لما رأى النبي ﷺ ما لحق أصحابه الذين أسلموا من قومه ، وأقاربه من الأذى ، والتعذيب . أشار عليهم بالهجرة من مكة إلى الحبشة ، وقال لهم : ان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد . وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لهم فرجاً مما هم فيه (١)

فخرج من المسلمين أحد عشر رجلاً وأربع نساء ؛ وعبروا البحر الأحمر إلى الحبشة ، واستجاروا بالنجاشي ، فاجارهم . وعلم منهم ببعثة النبي ﷺ فأكرم مشواهم . وذلك في السنة الخامسة من النبوة

أما البطارقة (٢) من قومه ، فكانوا شديدي التعصب لدينهم . فعزّ عليهم

(١) تاريخ الطبري ص ٢٢٢ ج ٢

(٢) تقول العرب للقسيسين والرهبان بطارقة

أن تقام في مدينتهم المسيحية شعائر دين آخر . (١) فاخذوا يهددون المهاجرين ويحرضونهم على التنصر . فتبّت الله المسلمين على ايمانهم ، الا واحداً ، وهو « عبيد الله بن جحش » فانه اضعف اسلامه ، ارتدّ ، تحت عوامل الضغط ، ودخل في دين النصرانية . فلما تنصر كلفه البطارقة بأن يحرض المسلمين على التنصر . فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب الرسول ﷺ يقول : « فتّحننا وصأضأتم » أى أبصرنا وأتمم تلمسسون البصر (٢)

فقال النجاشي هذا الأمر ، وأحاط المهاجرين بسور من عنايته ، ومنع البطارقة من التعرض لهم .

فثار البطارقة عليه ، وكادوا يخاعونه ، ولولا أن الله نصره عليهم لأفسدوا عليه أمره (٣)

وخشى المسلمون عاقبة هذه الثورة . وأشيع أن قريشا أجابت دعوة النبي ﷺ وأسلمت . فاحبّ المهاجرون اغتنام فرصة السلامة . فعادوا كثيرهم الى

(١) لأن المهاجرين رضى الله عنهم كانوا يقيمون الصلاة في أوقاتها علانية في محلهم الذى أقامهم فيه النجاشي

(٢) كتاب ألف باء ص ٣٦٧ ج ٢

(٣) ذكر هذه الثورة ابن الأثير في الجزء الثانى صفحة ٣٨ قال : وأقام المسلمون بخيردار . وظهر ملك من الحبشة فنارح النجاشي في ملكه ، فعظم ذلك على المسلمين ، وسار النجاشي اليه ليقاتله ، وأرسل المسلمون واحداً منهم ليأتيهم بخبره ، وهم يدعون له . فاقتلوا . فظفر النجاشي . فأسر المسلمون بشيء سرورهم بظفره . اهـ

واشار اليها أيضاً الاستاذ « هيكل » في كتابه « حياة محمد »

« مكة » وكان مكثهم في الحبشة في هذه الهجرة نحو ثلاثة أشهر . فلما قدموا إلى « مكة » وجدوا عنت قريش يزداد ، كما ازداد عدد المسلمين أيضا . فعادوا إلى الحبشة ثانية كما سيأتى

الهجرة الثانية

ولما كانت قريش لا تكف عن أذى المسلمين ، اجتمع عدد كبير من أسلموا يبلغ ٨٠ رجلا ، عدا النساء والأطفال ، وقصدوا الحبشة ثانية . فرحب بهم النجاشى ، وأسكنهم مجتمعين ، ليقيموا شعائر دينهم ، وأسلم هو على يد جعفر بن أبى طالب ، لأنه كان مع المهاجرين في هذه المرة . هنا لك خشى كفار قريش أن يكون هذا العدد من المهاجرين قوة للتبشير بالاسلام في الحبشة ، وانهم اذا تم لهم ذلك عادوا بجيش من الحبشة كبير لحربهم ونصرة رسول الله ﷺ لأن غزوة الحبشة لليمن ، ولمكة ، لا تزال عالقة بأذهانهم . فضلا عن أن جيش الحبشة اذا جاء هذه المرة يكون لنصرة دين الله ؛ فلا يصدّه الله عن « مكة » كما صد جيش ابرهة الذى كان يقصد هدم بيته ، وأهلكه .

وفي رواية أخرى أن قريشاً أرادت ارجاعهم الى مكة ليقتلوهم بقتلى واقعة بدر .

فجمعت قريش هدايا نفيسة . لتقدم إلى النجاشى ، وهدايا أخرى لتقدم الى البطارقة ، وأرسلوها مع عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ، وأفهموها أن يتفقا مع البطارقة على أن يساعدوهما في ردّ المهاجرين إلى قومهم .

فلما قدما الى الحبشة ، قدّما الهدايا إلى البطارقة ، وأخبراهم بما وفدا من أجله . وطلب اليهم أن يحولوا بين المهاجرين ، وبين النجاشي ، حتى لا يسمع كلامهم - لئلا يتأثر بفصاحتهم ، وحُسن ما يسمع من كلامهم ثم قدما اليهم الهدايا التي للنجاشي ، فأوصلها البطارقة اليه .

فاستدعى عمرا وعبد الله ، وشكرهما ، وسألها عن حاجتهما ، فقال عمرو :

« أيها الملك : انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤا بدين ابتدعوه ، لانعرفه نحن ولا أنت . وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم ، من آبائهم ، وأعمامهم ، وعشائريهم ؛ لتردّهم اليهم . فهم أعلامهم عينا ، واعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه »

فلما سكت ، تكلم البطارقة ، وحاولوا اقناع النجاشي بوجوب ردّهم إلى قومهم ، وابعادهم عن بلاده . ووجدوا بقدم عمرو ، وعبد الله ، فرصة ثمينة ترييحهم من هؤلاء الضيوف ، الذين يدينون بغير دينهم .

ولما كان النجاشي كما علمت قد أسلم ، وكنتم اسلامه عن أصحابه ، وكان في قدرته أن يرد وفد قريش ، بدون أن يسمع حجة المهاجرين . ولكنه أراد أن يسمع أصحابه دعوة الاسلام ، رغبة منه في أن تلين قلوب بعضهم اليه لذلك أبى أن يبتّ في الأمر قبل أن يسمع كلام المهاجرين وهم الخصم

الثاني (١)

ولذلك طلب المهاجرين - فلما حضروا مجلسه ، قال لهم :

(١) قد اتبعت هذه السنة في جميع ممالك العالم المتمدنين حتى الآن . فلانتم دولة

هاربا لجأ اليها قبل أن تسمع أقواله وأقوال من يطلب تسليمه

« ما هذا الدين الذى فارقم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به فى دينى ، ولا فى دين أحد من الملل » ؟ (١)

فتكلم جعفر بن أبى طالب : يصف له فضائل الاسلام ، وكان خطيب القوم ، وأشدّهم جرأة ، وقال :

« أيها الملك : كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه . فدعانا إلى الله ، لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد ، نحن وآباؤنا من دونه ، من الحجارة ، والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ، ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، — وعدد عليه أمور الاسلام —

ثم قال : فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه ، على ما جاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان ن عبادة الله ، وإن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا . خرجنا

الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن
لا نظلم عندك » (١)

فصدقهم « النجاشي » وأمنهم . وأبى أن يسلمهم إلى عمرو ، ورفيقه
فاختلى عمرو بالبطارقة ، وقال لهم : سأغدو على « النجاشي » بما يدعو به إلى
البعادهم ، عن بلادكم ، فانهم يقولون في « عيسى بن مريم » غير ما تقولون ،
فصكونوا معي وشدوا ازرى . فوعدوه خيرا .

ثم غدا إلى « النجاشي » وقال له : إن هؤلاء يقولون في المسيح
غير ما عندكم فيه

فأحضر المهاجرين ، وقال لجعفر : هل معك مما جاء به نبيك عن الله من
شيء فتقرأه عليّ ؟ فقال : نعم . وتلا من أول سورة مريم الى قوله تعالى
« وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا »

فلما سمع البطارقة هذا القول ، وعلوا أنه جاء مصداقاً لما في الانجيل ، أخذوا
فقال « النجاشي » : ان هذا ، والذي جاء به عيسى ، ليخرج من مشكاة واحدة .
ثم أخذ عوداً من الأرض ، وقال لجعفر : ما عدا عيسى ما قلت ، هذا العود .
فنخرت بطارقه . فقال : وان نخرتم (٢)

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٣٧

(٢) النخر صوت من الأنف أضعف من الشخير ، يراد به الاستهزاء بالرأى
وفيه من هذا ، أن البطارقة لم يعجبهم قول النجاشي الذي كان في مصلحة المسلمين ،
فسخروا من رأيه ، فقال : وان نخرتم (أى على رغم أنوفكم)

وقال لعمر ورفيقه : انطلقا . والله لأسلمهم اليكما ، ورد عليهما الهدايا

وقال للمهاجرين : اذهبوا ، فأنتم آمنون ^(١)

فأقام المسلمون في جواره ، رغم ارادة البطارقة ، حتى بعث النبي ﷺ في طلبهم ، فعادوا إلى المدينة ، فتكون مدة إقامتهم بأرض الحبشة نحو ١٦ سنة وذلك في سنة ٨ هـ (٦٢٩ م)

كيف كانت البطارقة تؤذى المهاجرين

روى البخارى فى صحيحه ، عن عائشة ، رضى الله عنها : أن أم حبيبة وأم سلمة ، ذكرتا كنيسة رأينا بالحبشة ، فيها تصاوير ، فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال : « ان أولئك ، إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات ، بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك أشرار الخلق عند الله يوم القيامة »

فنعلم من هذا أن البطارقة كانوا يحرضون المسلمين والمسلمات ، على دخول كنائسهم ، ليحملوهم على اعتناق النصرانية ، وكانت نتيجة ذلك : ارتداد (عبيد الله بن جحش) - وهل يوجد أذى أكبر من هذا الأذى ، للمسلمين أليس هو من نوع الأذى ، الذى هاجروا من مكة بسببه ؟

وأكبر من هذا ما صرحت به السيدة ، الجليلة ، « أسماء بنت عميس » رضى الله عنها ، وكانت فى الحبشة مع زوجها « جعفر بن أبى طالب » رضى الله عنه . فقد أبانت

ما كان يلحق المهاجرين ، من الأذى ، والتخويف ، في الحبشة ، وقد أثبتته صاحب « التاج » من حديث أبي موسى ، رضى الله عنه ، نقلا عن « البخارى » و « مسلم » قال :

أن أسماء بنت عميس ، حين جاءت من الحبشة ، دخلت على السيدة « حفصة » أم المؤمنين ، بنت عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهم ، تزورها ، فدخل عمر ، فقال : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه ، البحرية هذه ، (أى التى ركبت البحر وهاجرت الى الحبشة) قالت أسماء : نعم . فقال عمر : سبقناكم بالهجرة (أى بالهجرة الى المدينة مع رسول الله) فنحن أحق برسول الله منكم .

فغضبت . وقالت : كذبت ، يا عمر . كلاً ، والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا فى أرض البعداء البغضاء (أى البعداء فى النسب البغضاء فى الدين) فى الحبشة ، وذلك فى الله ، ورسوله ، وإيم الله ، لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا ، حتى أذكر ما قلت لرسول الله (ﷺ) ونحن كنا نؤذى ونخاف . وسأذكر ذلك لرسول الله ، وأسأله ووالله : لا أكذب ، ولا أزيغ ، ولا أزيد على ذلك .

فلما جاء النبى ﷺ قلت : يا نبى الله ، ان عمر قال كذا وكذا .

فقال رسول الله ﷺ ليس بأحق بى منكم ، وله ولاصحابه هجرة واحدة ، ولكم أتم أهل السفينة هجرتان (١)

فانظر كيف قالت : كنا نؤذى ونخاف ، وأقسمت على صدقها ، وانظر

كيف عَد رسول الله ﷺ هجرتهم إلى الحبشة ، هجرة ، مستقلة ، لهم ثوابها ، وهجرتهم ، بعد ذلك إلى المدينة ، هجرة ثانية

وما ذاك إلا لما كان يلحقهم في الحبشة ، من أذى البطارقة ، وأصحابهم .

هذا : وإذا تصورنا موقف أولئك المهاجرين ، الأخيار ، حين دعاهم

« النجاشي » إلى مجلسه ، المرة ، بعد المرة ، وقدرأوا عمرا ، وعبد الله ، رسول

كفار قريش ، أتيا لأخذهم ، وسمعوا البطارقة ، يحرضون « النجاشي » على تسليمهم . لعدوهم .

وأسمعنا دقات قلوب المهاجرات ، الطاهرات فرقا من أن يسمح

« النجاشي » بردهن إلى قومهن يسومونهن سوء العذاب لهلعت قلوبنا

جزعا من هول ذلك الموقف المريع .

فأي حق بعد ذلك للحبشة ، على المسلمين ، المهاجرين ، حتى نذكره لهم ؟

وهم لم يكرموهم ، ولم يتعففوا عن أذاهم

وايم الحق لولا « النجاشي » المسلم ، ما استطاعوا أن يعيشوا في

الحبشة يوما واحداً

الاسلام في الحبشة من بعد الهجرة

انتهى بما تقدم كلامنا ، عن علاقة الحبشة ، بالعرب في الجاهلية ،

وما حدث في هجرة بعض الصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة ، وعودتهم ،

منها جميعا إلى المدينة ، بدون أن يتركوا للاسلام أى أثر فيها .

ونحن ذاكرون بعون الله حال الاسلام في الحبشة ، من بعد الهجرة ،

إلى هذه الأيام .

أول سرية اسلامية للحبشة

أراد أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، أن يعجم عود الحبشة لينشر فيها الدعوة الاسلامية ، فوجه إليها سرية من المسلمين في سنة ٢٠ هـ بقيادة « علقمة بن مجز المدلجى » فلم توفق إلى شئ ، وأصيبت . فجعل عمر ، على نفسه ، أن لا يحمل فى البحر أحدا للغزو (١)

احتلال السواحل الحبشية اقتصاديا

تركت الحبشة ، وشأنها ، بعد سرية « علقمة » ولم يرسل اليها المسلمون حملات للفتح بقوة السيف ، ولكن أخذوا فى احتلالها اقتصاديا ، فتدفق سيل التجار المسلمين ، على سواحل الحبشة ، واستوطنوها ، وجعلوا يحتلونها شيئا فشيئا ، فأخذوا جزيرة « دهلك » ثم « مصوعا » و « الزيلع » (١) ودأبوا على ذلك ، حتى أصبحت جميع سواحل الحبشة فى قبضة يدهم ، وأدخلوا فى الاسلام كثيرا من القبائل الوثنية .

(١) ابن الاثير ص ٢٨٠ > ٢

(١) « مصوع » ثغر على شاطئ البحر الاحمر من سواحل « الاريتريا » و « دهلك » جزيرة بجوارها .

و « زيلع » ثغر فى الصومال البريطانى ، على ساحل خليج عدن

مناعة بلاد الحبشة

كانت مملكة الحبشة قبل الاسلام ، وقاعدتها مدينة « أكسوم » على جانب عظيم ، من القوة ، والسطوة ، قوية الشكيمة . وحسبنا دليلاً على قوتها ، تمسكها من احتلال الين ، مدة ٧٠ سنة تقريباً .

وقد زاد في سطوتها مناعة أرضها ، وما وهبها الله سبحانه وتعالى ، من الحواجز الطبيعية ، التي تجعلها بعيدة المنال ، عن الفاتحين .

فان تلك الجنة الفيحاء ، التي تشمل الهضبة الحبشية ، محصنة ، بطبيعتها ، بجبال شاهقة ، وأودية سحيقة ، ومسالك وعرة ، وصحار قاحلة ، وأجواء مختلفة .

من أجل ذلك لم يحاول الخلفاء الراشدون ، ولا من جاء بعدهم ، من ملوك الاسلام ، فتحها عنوة ، في الوقت الذي اكتسحت فيه جنودهم ، بلاد الشام ، والعراق ، ومصر ، وجاوزت بلاد فارس . ولكن شاء الله أن ينشر فيها دينه عن طريق السلم .

انتشار الاسلام في الحبشة

إننا وإن كنا لا نستطيع أن نذكر بالتفصيل ، كيف كان احتلال المسلمين ، لسواحل الحبشة ، سلباً بغير حرب ، وجعلها إسلامية ، ونشرهم

فيها الدين الخفيف ، بين القبائل المتوحشة ، حتى مصروهم ، وأوجدوا منهم جنوداً ، أشداء ، كونوا بهم قوة مسلحة ؛ ذات شأن ، على جانب عظيم من مكارم الأخلاق ، والصفات ؛ إلا أننا نستطيع أن نبرهن على قيام دولة إسلامية ، عظيمة ، في الحبشة ، نشرت سلطانها يوماً ماً ، على جميع أرجائها ، زمننا غير قليل .

كيف وأين نشأت أول دولة إسلامية في الحبشة

كان من نزل الحبشة ، مع التجار ، الذين نزحوا إليها ، من اليمن ، والحجاز ، جماعة من قريش ، من ولد « عقيـل بن أبي طالب » وسكنوا في ناحية ، تسمى « جبرت » (١) من أراضي « زيلع » وسموا بعد ذلك « الجبرتية » ، ولا يزال هذا الاسم لشعب كبير ، من المسلمين ، في الحبشة كما سيأتي .

ولما وهب الله قريشا ، من الحزم ، والحكمة ، وعلو الهمة ، ولأنهم أهل الشرف ، والسيادة ، أينما حلوا - قام هؤلاء الأبطال بإنشاء أول دولة إسلامية ، في الحبشة ، وجعلوا قاعدتها « وفات » وهي « جبرت » ونظموا إدارتها ، وأحكموا أمرها ، فأطاعهم أهلها ، وأخذ سلطانهم يقوى ، ونفوذهم يمتد ، وملكهم يتسع . وكلما كونوا مملكة ، مهدوا السبيل ،

(١) « جبرت » وهي « وفات » أيضاً ؛ من أكبر مدن الحبشة ؛ ومن زيلع

إليها ٢٠ مرحلة - راجع تقويم البلدان ص ١٦١ .

لتكوين غيرها . حتى إذا دخل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) تم لهم فى الحبشة « سبع ممالك » زاهرة ، مزدهرة ، وسميت « الطراز الاسلامى » لأنها كانت كالطراز على سواحل الحبشة ، وهى :

١ مملكة وفات

٢ « دوارو

٣ « اراينى

٤ « هديا

٥ « شرحا

٦ « بالى

٧ « داره

وكانت هذه الممالك كلها ، ذات مساجد ، وجوامع ، تقام فيها الجمعة ، والجماعة . وكانت البلاد على جانب عظيم ، من الخير ، والرخاء ، وجميعها متجاورة ، ماعدا « داره » فان أرضها داخلية فى نفس نواحى « احرا » التى كانت قاعدة مملكة الحبشة وقتئذ .

وقد ذكر العلامة « القلقشندى » فى كتابه « صبح الأعشى » هذه الممالك ، ووصف بعضها ، وتكلم عن عدد عساكرها ، من فارس ، وراجل ، ناقلاً عن « مسالك الأبصار » لمؤلفه « شهاب الدين العمرى »

قال عن « وفات » والعامة تسميها « أوفات » ويقال لها أيضاً « جبروت » والنسبة إليها « جبروتى » وهى أكبر مدن الحبشة ، على نشر من الأرض ،

وعمارتها متفرقة ، ودار الملك فيها على « تل » والقلعة على « تل » ولها واد فيه نهر صغير ، وتمطر في الليل غالباً مطراً كثيراً .

وهي عامرة آهلة بقرى متصلة ، وهي أقرب أخواتها إلى الديار المصرية ، وإلى السواحل المسماة لليمن .

وهي أوسع الممالك السبع أرضاً ، وعسكرها ١٥ ألفاً من الفرسان ، ويتبعهم ٢٠ ألفاً من الرجال (١) اهـ

أقول : وفات واقعة شرقي هضبة « شوى » وهي أول مملكة اسلامية قامت في الحبشة .

وقد ذكر العلامة « الشوكاني » في كتابه « البدر الطالع » ترجمة لسلطانها محمد بن أبي البركات بن أحمد بن علي بن محمد بن عمر الجبرتي ، ونعته بسلطان المسلمين بالحبشة ، وقال انه تولى ملكها سنة ٨٢٨ هـ (١٤٢٥ م) ومات في سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣٢ م) في إحدى غزواته .

وقال : كان ديناً ، عاقلاً ، عادلاً ، خيراً ، وقوراً ، مهاباً ، ذا سطوة على الحبشة ، أعز الله الاسلام في أيامه .

ثم قال : ومملك بعده أخوه ، فاقتنى أثره ، في غزواته ، وشدته .

وكان يصحب الفقهاء ، والعلماء ، والصلحاء ، وينشر العدل في أعماله ، حتى في ولده ، وأهله . واسلم على يديه خلائق من الحبشة (٢) اهـ ملخصاً

وقال القلقشندي عن مملكة « دَوَارُو » انها تلي « وفات » وهي

(١) صبح الأعشى ٣٢٥ ج ٥

(٢) البدر الطالع ١٤٢ ج ٢

صغيرة ، وضيقة ، ومع ضيقها ، فانها ذات عسكر جم نظير عسكر أوفات (١) اه
أقول : وتسمى أيضا « ادال » وقد فاقت « وفات » قوة ، وعظمة ،
وموقعها شرقى « هرر » ولها قاعدة تسمى « دكر »

وقال القلقشندى عن « هديا » : هى جنوبى « وفات » وتلى « ارايىنى »
وصاحبها أقوى اخوانه . من ملوك هذه الممالك السبعة ، وأكثر خيلا ،
ورجالا ، ، أشد بأساً ، على ضيق بلاده عن مقدار « اوفات » (٢) . اه
وقال عن مملكة « بالى » التى تقع فى جنوب « شوى » ويقطنها الآن قبائل
« غاللا أروسى » إنها مدينة تلى « شرخا » ولكنها أكثر خصبا ، وأطيب
سكنا ، وأبرد هوا . منها جميعا .

وقال عن « دارا » إنها مدينة تلى « بالى » وهى أضعف أخواتها حالا
وأقلها خيلا ، ورجالا ، وعسكرها لا يزيد عن ٢٠٠٠ فارس ، ورجالته
كذلك (٣) اه

أقول : ان سبب ضعفها عن اخواتها هو لتداخلها فى أراضى « احرا »
بين بلاد الحبشة .

وقال القلقشندى أيضا عن ذكر معاملات وأسعار الممالك الاسلامية

(١) صبح الأعشى ٣٢٦ ج ٥

(٢) صبح الأعشى ٣٢٨ ج ٥

(٣) صبح الأعشى ٣٢٩ ج ٥

بالحبشة ما يأتي ملخصا : وليس بأوفات سكة تضرب ، بل معاملاتهم بدنانير مصر ، ودراهمها ، الواصلة إليهم صحبة التجار (١) اه
فمن هذه الجملة القليلة ، نعرف مقدار الصلة التجارية ، في تلك الأيام . بين مصر . والممالك الإسلامية بالحبشة .

الرخاء في الممالك المذكورة

وإذا أردت أن تعرف ما بلغتته تلك الممالك من الرخاء . فانظر ما كتبه « القلقشندي » عن ذلك حيث قال ماملخصه :
« وأما الأسعار . فكلها رخيصة . ويباع بالدرهم الواحد عندهم ، من الحنطة حمل بغل . والشعير لا قيمة له . وعلى هذا فقس (٢)

نظام التوارث في عروش هذه الممالك

قال القلقشندي : والملك منهم في بيوت محفوظة ، الا « بالي » اليوم هان الملك فيها صار إلى رجل ليس من أهل بيت الملك ، تقرب إلى سلطان « احرا » حتى ولاه مملكة « بالي » فاستقل بملكها . على أنه قد وليها من أهل بيت الملك رجال أكفاء ، ولكن الأرض لله يورثها من يشاء .

قال في مسالك الأبصار : وجميع ملوك هذه الممالك ، وان توارثوها

لا يستقل منهم في ملك . الا من أقامه سلطان « احرا » وإذا مات منهم ملك . ومن أهله رجال ، قصدوا جميعهم سلطان « احرا » وتقربوا اليه جهد الطاقة ، فيختار منهم رجلا يوليه ، فاذا ولاه سمع البقية له ، وأطاعوا ، فهم كالنواب ، وأمرهم راجع اليه .

واكن كلهم متفقون على تعظيم صاحب « أوفات » منقادون اليه ^(١)

غموض تاريخ الاسلام في الحبشة قبل القرن الثامن

يسوء نافع الأسف أننا لم نوفق الى العثور ، على وثائق نعتمد عليها ، ونعرف منها ما كان يجرى بين الحبشة ، والمسلمين ، قبل القرن الثامن ، وما قاساه هؤلاء ، من المشاق ، في سبيل تكوين الممالك « السبع » التي انشأوها ، وما يدرينا ، لعل هناك كتب ، وآثار ، عن ذلك ، لم يسمح الدهر بظهورها ، من مكنها بعد .

ولكن المسلم به ، أن علاقة الحبشة بمصر ، لم تنقطع ، وتلك العلاقة دينية ، مسيحية ، محضة . لأن تولية الاساقفة ، للكنيسة الحبشية ، تصدر من غبطة بطريرك الكرازة المرقسية ، بمصر ، وذلك من وقت دخول الديانة المسيحية ، الى بلاد الحبشة ، في أوائل القرن الرابع لليلاد ، على يد الاسقف « فرومونتوس » الذي عينه بطرك الاسكندرية ، اسقفا على الحبشة .

وقد عثرنا على وثيقة ، قليلة الكلمات . كبيرة المغزى ، رواها الطبري ،

وغيره ، تدل على قسوة الحبشة . وسوء جوارهم ، للمسلمين . وهذا نصها : قال :
لما قتل مروان بن محمد (آخر الخلفاء الأمويين) ببلدة « بوسير » (من
أعمال جيزة مصر) في سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) هرب ولداه « عبد الله »
و « عبيد الله » الى أرض الحبشة ، فلقوا من الحبشة ، بلاء ، قاتلهم الحبشة ،
فقتلوا « عبد الله » وافلت « عبيد الله » في عدة ممن معه . (١)

فانظر الى هذا الشعب الوحشى . كيف يقابل ضيوفا ، دخلوا أرضه ،
يتخذون فى جواره حمى ، وأمنأ ، من عدوهم ، فيقابلهم بالسيف ، يقتل بعضهم
ويشرد البعض الآخر .

وقد وصل الينا أيضا عن طريق « المقتطف » كتابة طريفة ، نقلا عن
كتاب « لباب الآداب » للامير « اسامة بن منقذ » نقلها بحروفها - وان
كانت لا تتعلق بموضوع كتابنا - الا أنها تدل على شىء من جبروت ملوك
الحبشة . قال :

« وصل رسول ملك الحبشة ، وكتابه ، فى سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢ م) الى
الملك العادل ، أبى الحسن ، بن على ، بن السلار ، فسأله ان يأمر البطرك بمصر ،
ان يعزل بطرك الحبشة (وتلك البلاد كلها مردودة الى نظر بطرك مصر)
فأمر الملك العادل ، باحضار البطرك ، فحضر ، وأنا عنده ، فقيل له :
ملك الحبشة قد شكنا من البطرك الذى يتولى بلاده ، وسألنى فى التقدم
اليك بعزله ،

(١) الطبرى ١٣٤ ج ٩ . أما ابن الاثير ، وابن الوردى فذكرا ان الحبشة قتلوا
« عبيد الله » ونجا « عبد الله » بمن معه

فقال : يامولاي . ما وليته حتى اختبرته ، ورأيت أنه يصلح للناموس الذي هو فيه ، وما ظهري من أمره ما يوجب عزله ، ولا يسعني في ديني أن أعمل فيه بغير الواجب ، ولا يجوز أن أعزله .

فاغتاض الملك العادل ؛ من قوله ، وأمر باعتقاله ، فاعتقل يومين ، ثم أنفذ إليه ، وأنا حاضر ، يقول له : لا بد من عزل هذا البطرك ، لاجل سؤال ملك الحبشة في ذلك ، فقال : يامولاي . ما عندي جواب غير ما قلته لك ، وحكمك ، وقدرتك ، إنما هي على الجسم الضعيف ، الذي بين يديك . وأما ديني ، فمالك عليه من سبيل . ثم قال :

« والله ما أعزله ، ولو نالني كل مكروه . »

فاطلقه العادل ، واعتذر الى ملك الحبشة . اه مختصرا (١)

نقول : ان شهادة بطرك مصر . لبطرك الحبشة ، الذي عينه بنفسه ، بأنه اختبره ، ووجده يصلح لما ولاه ، شهادة لا يمكن أن تشاب بشيء غير الحق . فياترى أى شيء ينقم ملك الحبشة منه ، الا أن يكون الملك جباراً ، يأتي المظالم ، المخالفة للتعليم المسيحي ، والبطرك ينهأ عنها . ويرشده الى اتباع العدل . فتوسل ملك الحبشة الى ملك مصر في الرجاء الى البطرك لعزله ، حتى يستريح من مضايقته ، اذ لا سبيل له الى مسه بسوء .

وقد عثرت في كتاب « الاعتبار » للأمير « ابن منقذ » أيضاً ، على وثيقة نفيسة ، يستدل منها على ان الحبشة كانت تشن الغارة على البلاد

المصرية المجاورة لها ، وتعرض لاهلها بالسوء ، وان الملك الصالح « طلائع » أراد أن يعين « ابن منقذ » والياً على « اسوان » ويمده بالمال ، والرجال ، ليتقوى على حرب الحبشة ، وكان ذلك في سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) وهذا نصها :

« .. ثم اتصلت بخدمة الملك العادل « نور الدين » وكتابَ الملك الصالح في تسيير أهلى وأولادى ، الذين تخلفوا بمصر ، وكان محسناً اليهم ، فرد الرسول ، واعتذر بانه يخاف عليهم من الافرنج .

وكتب الى يقول : ترجع الى مصر ، وانت تعرف ما بينى وبينك ، وان كنت مستوحشاً من أهل القصر ، فتصل الى مكة ، وانفذ لك كتاباً بتسليم مدينة « اسوان » اليك ، وأمدك بما تتقوى به على محاربة الحبشة ، فاسوان ثغر من ثغور المسلمين ، وأسير اليك أهلك . وأولادك . (١)

ماذا كانت تضر الحبشة للمسلمين

كانت ملوك الحبشة ، تنظر إلى هذه الدويلات ، المسلمة ، بعين الحسد ، والحقـد ، لارتقائها مديناً ، واقتصادياً ، فضلاً عما كانت تكنه من العداوة للمسلمين ، من قديم .

لذلك : لم يحل لها ما باغته البلاد التى احتلها المسلمون ، وأصلحوها ، من الرفاهية . كأنهم خافوا عاقبة رقيها ، فأخذوا يتحسّنون الفرص للفتك

بالمسلمين ، وإبادتهم ، واحتلال ممالكهم ، وظهر ذلك جلياً بما كتبه المؤرخون في القرن الثامن الهجرى كما سنبينه .

الاسلام والحبشة في القرن الثامن

لما دخل القرن الثامن الهجرى بدأ المؤرخون في تدوين أخبار الحبشة ، وقد وضع المقرئى كتابه « الايـلمام ^(١) » وذكر فيه « النجاشى اسحق ابن داود » الذى تولى على الحبشة سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) فقال :

وهذا الملك قوى أمره بوفود قوم من الجراكسة إلى بلاده ، أنشأوا فيها مصنعاً للسلاح . كالسيوف ، والرماح . والخناجر ، بعد أن كانت « الحراب والنشاب » عماد سلاحهم

وكذلك انتظمت مالية دولته ، بوجود رجل قبلى ، من مصر ، ولاء أمر أموال المملـكة ، فأحسن ضبطها ، وأنامها ، فعمها اليسر والرخاء .

فعند ذلك طغى « النجاشى » وبغى ، واتفق مع رجال دولته على انتزاع ممالك المسلمين ، من أيديهم ، واجلائهم ، عن البلاد ، وإبادتهم .

قال المقرئى : فلما تحضرت دولته ، وقويت شوكتة . سولت له شياطينه ، أن يأخذ ممالك الاسلام ، فاوقع بمن تحت يده فى مملكة الحبشة من المسلمين ، وقائع شنيعة ، طويلة ، قتل فيها ، وسبى ، واسترق عالماً لا يحصيه إلا خالفه سبحانه .

(١) الايـلمام عما بأرض الحبشة من ملوك الاسلام طبع مصر سنة ١٩٠٨ م ص ٥
وقد ألفه سنة ٨٣٩ هـ (١٤١٥ م)

ثم كتب الى ملوك الافرنج يحثهم على ملاقاته ، لازالة دولة الاسلام ،
وواعدهم على ذلك ، وأخذ في تمهيد ^(١) ما بينه وبين البلاد الاسلامية ،
واستجلاب العربان اليه . فعاجله الله تعالى بنقمته سنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ -
١٤٣٠ م) اهـ

فهذه شهادة مؤرخ معاصر للحوادث ، التي كانت تجرى بين ملوك الحبشة
والمسلمين . تظهر للقارىء ما جبلت عليه ملوك الحبشة وشعوبها ، من العداوة
للمسلمين . فانهم لم يراعوا حق جوارهم . بعد أن قضوا على الوثنية في بلادهم ،
ومصروها ، وأقاموا فيها شعائر الاسلام الخفيف .
لهذا لم يجد المسلمون بعد ذلك بدءاً من اعداد العدة لمقاومة أعدائهم .

ولاشك في أن نهوض الاسلام في تلك البلاد كان كوسيلة لازمة لدفاع
المسلمين ، عن أنفسهم ، وحريتهم ، تلقاء طغيان الاحباش الذين يختلفون
عنهم ديناً وجنساً .

حدود الحبشة وقتئذ

حصرت المملكة الحبشية ذلك الوقت ، في الهضبة المرتفعة ، ما بين
« شوى » و « أحره » و « تيجرى » وكان الشعب يعاني التعب ، والشقاء ،
من الحكم ، وسوء ادارتهم

وكان نفوذ دولة المماليك يمتد الى شمال الحبشة ، فقام رجل اسمه

(١) لعله يريد تعبيد الطرق واصلاحها

« يكونه أملاك » وأسس دولة حبشية وهى « الاسرة السلمانية » وأخذ يشن الغارات على المسلمين ، فى الجنوب ، والجنوب الشرقى

فنهض المسلمون لدفع تعدى الاحباش ، وحمى وطيس الحرب بينهم ، ودامت هذه الحروب الفظيعة نحو ثلاثة قرون ، وبلغت أشدها فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) حين تولى النجاشى « لبناندقل » Denghel وولده « كلاوديوس Calâwdewos » من بعده

وقد عانى المسلمون فى أيامها شدة عظيمة ، وضعفت دولتهم ، التى جعلوا عاصمتها « هرر » سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) وكادت تنهار ، ويقضى عليها ، لولا أن قام من المسلمين شاب ، مقدم ، جسور ، اسمه « احمد بن ابراهيم » وجمع كلمة المسلمين ، وتولى أمرهم ، حتى لقبوه « الامام » و « الغازى » و « صاحب الفتح » لفتح الحبشة ، والاستيلاء عليها .

وسماه الاحباش « جرانى . Gragn » أى اعسر ، فقد حمل على الحبشة ، حملات شديدة ، بمؤازرة الاتراك الذين كانت « جدة ، واليمن » فى قبضتهم . وتوغل فى البلاد حتى انتهى ، الى الاقاليم الشمالية ، من « تيجرى » وبلغت حروبه مع الحبشة اقصى حد من الحماسة ، والاقدام ، لان المسلمين ، اعتبروها جهاداً . وغدوا يحاربون حرب المستميت ، باسم الدين ، حتى نفذت قواهم المادية ، والمعنوية

وقد وصفت هذه الوقائع التى تشيب لهولها الاطفال ، فى كتاب العلامة الشهاب « احمد بن عبد القادر الجيزانى » المدعو « عرب فقيه » والذى سماه « فتوح الحبشة »

ومن يطالع هذا الكتاب ، يجد فيه ، من ذكر أعمال « الفروسية » و « البطولة » و « هول الوقائع » التي قام بها المسلمون ، ما ليس له نظير ، في الاخبار ، المتداولة ، عن الفتوحات الاسلامية الاولى وانظر مقاله المؤلف في وصف واقعة « صمبر كورى » في بلادشوى .

واقعة صمبر كورى

هذه الواقعة حدثت في مستهل رجب من عام ٩٣٥ هـ ، وهى احدى سلسلة وقائع ، استجر فيها القتل في المسلمين ، وكادت الحبشان تقضى عليهم ، حتى ان كثيرا من الجبهة ، الضعيفي الايمان ، من المسلمين ، ارتدوا الى الكفر ، طلبا للنجاة ، من القتل ، والاضطهاد

واقعة بادقى

وقد سبق واقعة « صمبر كورى » واقعة « بادقى » كادت تذهب بجيش المسلمين ، لولا ان تداركهم الله بنصره من عنده ، وكان المسلمون زاحفين اليها بقيادة الامام « احمد » فاخلى امامهم الجيش الحبشى الطريق ، وكانوا كلما سألوا واحدا من الاهالى عن الجيش انكر وجود أى قوة هناك . وكانت « بادقى » هذه موضع بيوت الملك ، وخزائنه . فسار المسلمون اليها من غير ترتيب ، ولا تعبئة ، فلما اقتربوا منها ، صدمتهم عساكر الكفرة الذين اقبلوا ، كالجراد المنتشر ، وصدوا المسلمين عن دخول القرية . وكان

بين العسكرين نهر يسمى « سمرما » فبقى المسلمون فى أماكنهم إلى الصباح ثم عبر النهر منهم طائفة ، والتقت بالحشنة ، واشتبكوا فى معركة ، فوقع العرب فى قاب رجلين من المسلمين ، فانهزما ، وانهزمت بانهازمهما جميع الفرقة ، وعبرت النهر على غير هدى ، ففرق منها جماعة

عند ذلك وقف الامام فى وجه الهاربين ، وصاح قائلاً :

« أين تفرون ، اتفرون من الجنة ؟ وما هو الا أجل قد كتب »

فقال له احد أعوانه : « اضرب خيمتك هنا ، ونحن نقاتل دونك ، قتال

العرب » (١)

فضرب خيمته ، واجتمع المسلمون حوله ، وثبتوا فى أماكنهم ، وقد خسروا بعض رجالهم .

ثم رأى الامام « احمد » ان هذه البقعة ضيقة ، ولا تصلح للقتال ، فرحل بعسكره متقهقرا ، وتبعتهم عساكر الحشنة ، حتى لحقوا بهم عند « صمبر كورى » .

فلما رأى المسلمون أن الكفار لاحقون بهم ، استشار الامام أصحاب الرأى فى عسكره ، فقالوا : « أما نحن ، فالقتال بغيتنا ، ومنانا ، ولا نزال نصر لهم على الضرب ، والطعن ، والقتال ، حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين »

ففرح بهم ، ودعا لهم . وباتوا يعدون العدة للصباح . فلما أصبحوا خطب

(١) يشير بذلك الى واقعة احد .

فيهم الفقيه « أبو بكر » المكنى « بارشونه » وبشرهم بالجنة ، وحذرهم من النار . وتلى عليهم قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ، وصَابِرُوا ، وَرَاطِبُوا ، وَانْقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (١)

فعند ذلك عبأهم الامام « احمد » وصفهم ، ورتبهم . واصطففت الحبشة ، فكانوا سبعة صفوف . فهابهم المسلمون ، لكثرة عددهم . فاقبل الامام ، يثبثهم ، بدعائه ، ويقول : « اللهم اجعل كلاً منا صابراً ، ولديك ناصراً » ثم قال لعسكره : « اذكروا الله ، ولا تنظروا اليهم ، وانظروا الى الأرض واستعينوا بالله عليهم ، واصبروا ، والله معكم ، وناصركم »

فلما اقترب الكفار منهم ، كانت سحابة من فوقهم ، تظلمهم ، والمسلمون في حر الشمس . فتضرع الامام ، ودعا ؛ وقال في دعائه :

« يا الله ، يا حي ، يا قيوم ، يا بديع السموات ، والأرض ، يا ذا الجلال ، والاكرام ، ان هؤلاء اعداء نبيك ، وأعداء رسلك ، يأكلون رزقك ، ويعبدون غيرك ، فتظلمهم ونحن المسلمون في حر الشمس »

فما استتم الامام كلامه ، حتى زالت تلك السحابة عن رؤس الكفرة ، الى رؤس المسلمين ، والى تعبثهم ، فكانت تظلمهم .

ثم حمل الكفار . على المسلمين ، فاقتتلوا ، وحمل الوطيس بينهم الى وقت العصر

وخطب الفقيه « أبو بكر » فيهم ، وقرأ عليهم قوله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، بِأَنْ تَهُمُ الْجَنَّةَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقْتُلُونَ ، وَيُقْتَلُونَ ، وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا ، فِي التَّوْرَةِ ، وَالْإِنْجِيلِ ، وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١)

فضج المسلمون بالتهليل ، والتكبير . فألقى الله الرعب في قلوب الأحباش فولوا الأدبار ، وتبعهم المسلمون ، يقتلون ، ويأسرون ، حتى اختلط الظلام وتم النصر للإمام « أحمد » وجيشه . اهـ

نقول : من يتصفح هذا الكتاب النفيس ، يدرك هول هذه الحروب ، التي كانت الحبشة تشنها على المسلمين ، في كل وقت ، وناحية ، ليخرجوهم من بلادهم ، حتى أنهم استعانوا عليهم بالبر تغاليين ، الذين احتلوا جزءا من « إفريقيا الشرقية » فأمدوهم ، بمدافع وجنود ، مدرّبين ، على استعمالها .

« وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » (٢)

وجاء في هذا الكتاب أيضا أن الامام « أحمد » بقى يقاتل الحبشة ، بجيشه البالغ عدد رجاله عشرة آلاف ، مدة ١٢ سنة ، من سنة ٩٣٧ الى سنة ٩٥٠ هـ (١٥٣١ — ١٥٤٣ م) ، ثم استشهد في إحدى المعارك .

وقد خلفه ابن أخته الأمير « نور بن مجاهد » على قيادة المجاهدين ، وسلطنة « هرر » فكان من خيرة القواد . وسماه المسلمون « صاحب الفتح الثاني » وهو الذي قتل النجاشي « كَلَاوْدِيُوس Galawdewos »

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

(٢) سورة البروج آية ٨ .

سنة ٩٦٦ هـ (١٥٥٩ م) فى احدى المعارك
وما زال قائما بالامر ، حتى لقي ربه سنة ٩٧٥ هـ (١٥٦٨ م)

ضعف السلطنة الاسلامية بعد ذلك

انتهى بموت الامير « نور بن مجاهد » مجد سلطنة « هرر » الاسلامية ،
فبعادت الحبشة إلى عنتها ، وإلحاق الأذى بالمسلمين ، الذين عجزوا بعد تلك
الحروب الطاحنة عن مقاومة تعدى الحبشة عليهم .

وزادت حالتهم تأخرًا فى بدء القرن الحادى عشر الهجرى ، حينما اخترق
حدود الحبشة ، من جنوب نهر « وابى » شعوب « غالات » الوثنيين ،
فانهم كادا يقضون على الاسلام ، فى تلك البلاد .

وقد انتزعوا من أيدي المسلمين مملكتى « بَالِي » و « هَدْيَا » وتوغلوا
فى هضبة الحبشة ، وجعلوا مقرهم ما بين « هرر » و « شوى » و « أحمرة »
وانتشروا فى بلاد كثيرة . من الهضبة

أما مسلمو شرق الحبشة ، فتجمعوا فى « أوسه » واتخذوها مقرًا للامام
عوضاً عن « هرر »

تحرش الدولة العثمانية بالحبشة

أما فى الجهة الشمالية ، فبقيت نار الحرب مستعرة ، بين المسلمين ،

والأحباش ، حتى استولى العثمانيون على « مصوع » في سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٧ م) وبدؤا يتدخلون في شؤون الحبشة ، ويشدون أزر المسلمين ، في المقاطعة التي تسمى الآن « الاريتريه »

فأثار ذلك نائرة الحبشة ، وانهى الامر بحرب عنيفة ، بينهم ، وبين العثمانيين سنة ٩٨٦ هـ (١٥٧٨ م) كان الظفر فيها للحبشة ، بقيادة النجاشي « ملاك صاجاد Malak Sagad » الذي قضى على مطامع العثمانيين بفتح الحبشة

تأثير الاسلام في الحبشة

إن الحملة الاسلامية التي قام بها الامام « أحمد بن ابراهيم » ومن بعده ابن أخته ، الأمير « نور بن مجاهد » لم تذهب سُدى ، فقد كانت سبباً في انتشار الاسلام في الهضبة . حتى قلب الحبشة ، في « دَمِيَّيَا » و « وَكَنُو »

ولما قدم سفراء إمام اليمين إلى الحبشة في سنة ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨ م) وجدوا بقرب « غندار » مدينة عامرة بالمسلمين ، لأن قسماً كبيراً من قبائل « غالا » الوثنيين ، الذين سكنوا الهضبة الحبشية ، اعتنقوا الاسلام ، ولما وجدوا فيه من الفضائل .

النجاشي المسلم

وحوالي سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨٠ م) استولت قبائل « غالا وُلُو » و « ايجو » على « بغمدر » Beghemder وعلى قسم من « المحره » فاصبح

رئيس « ايجو » المسلم ، وهو الرأس « كوكسا يملى ارادته على نفس
« النجاشى » الحبشى .

ثم أصبح الرأس « على » ابن أخيه ملكا على الحبشة « نجاشيا » فكان
ذلك فاتحة عهد جديد للمسلمين

نجاشى آخر مسلم

قال صاحب رحلة الحبشة فى الصفحة ١٥٠ :

« وقد غزا « محمد غرانى » هذه البلاد ، وفتح القسم الكبير منها ، وترك حكومتها
على وشك الانقراض ، ولم تتخلص من وهدة الدمار ، إلا بمعاونة البورتغاليين
الذين عقدوا عهدا مع الحكومة الحبشية على إباحة دخول قسس الكاثوليك
الى الحبشة فى نظير معاوتهم لها على المسلمين »

وقال فى الصفحة ١٨٦ عن « محمد غرانى » هذا مانصه :

« سألت آتوهيلامريم عن محمد غرانى المشهور بفتوحه هناك فقال : ان
هذا الرجل كان من قواد صاحب هرر قبل أربعة قرون ثم تقوى فاستولى
على كل الحبشة مدة ١٥ سنة . انسحب النجاشى فى أثنائها الى « غوندار »
ثم أخذت البلاد منه ، وأعيدت الى أصحابها بمساعدة البورتغاليين ، وان
هؤلاء هم الذين أدخلوا من ذلك العهد الاسلحة النارية الى بلاد الحبشة ،
لاول مرة » اه

عدو يمسى حبيباً ، وجار يظل عدواً

يندهش المطلع على تاريخ الحبشة حين يعلم أن المسلمين يجاورون الحبشة من القرن الاول للهجرة . ينشرون بينهم الفضيلة ، ويراعون ذمتهم .
والحبشة توالى عليهم الغارات ، وتسعى بكل الوسائل لآبادتهم .
وأن قبائل « غالا » الذين هم على الوثنية ، بعد عداوتهم الشديدة للمسلمين ،
وشن الغارات عليهم ، ينقلبون أصدقاء ، وإخلاء ، فيدخلون فى الاسلام ،
ويحفظون الولاء للمسلمين .

بقية السيف أكثر عددا

إذا فحصنا عن الحقيقة ، وجدنا أن جميع الحروب التى أقامتها الأحمباش
على المسلمين ، بقصد إقصائهم ، عن الحبشة ، أو لآبادتهم من الوجود ، لم
تكن تؤثر فى تعداد المسلمين ، بل بالعكس ، أصبح المسلمون أكثرية
عظيمة ، بعد أن كانوا فى البلاد أقلية ضعيفة .

وقد صدق عليهم القول المشهور « بقية السيف أكثر عددا »

النهضة الإسلامية العلمية فى الحبشة

فى النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجرى ، الموافق للنصف
الاول من القرن التاسع عشر الميلادى ، قامت نهضة إسلامية فى البلاد
الملحقة اليوم بالحبشة ، وما حولها ، من المقاطعات ، شرقا ، وجنوبا ، بتأثير

ما بلغته « هرر » من التقدم في العلوم الاسلامية ، بفضل اتصالاتها باليمن ، والحجاز

وقد تأثر بذلك أيضا غرب الحبشة ، بعد أن فتح السودان في أيام المغفور له عزيز مصر الأكبر «الحاج محمد علي باشا»

وقد بلغ التقدم الاسلامي أوج مجده أيام احتلال مصر لزيلع (١)

و «هرر» (٢) في حكم المغفور له الخديو اسماعيل باشا ، ذلك الاحتلال القصير الأمد ، من سنة ١٢٩٢ إلى سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٧٥ - ١٨٨٤ م)

وقد لاحظ علماء الافرنج وكتابهم ذلك التقدم ، ونوهوا به ، فقد لاحظ السكاتب النمساوي « پولاشكي Paulitschke » الذي زار « هرر » في سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م) ان فيها عددا كبيرا من المبشرين المسلمين (يقصد السكاتب بلفظة المبشرين علماء الاسلام)

وقال حين زار « غالاً » الواقعة غرب مدينة « هرر » ما ملخصه :

(١) في جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ هـ (يونيه ١٨٧٥ م) أرسلت الدولة العلية للخديو اسماعيل مايفيد إحالة منية زيلع وملحقاتها على الحكومة المصرية مقابلة ١٥ ألف جنيه عثمانى تعلی على الجزية . (٦٤٦ التوفيقات الالهامية) .

وفي ربيع الأول من سنة ١٣٠٢ هـ (ديسمبر ١٨٨٤) صرحت انجلترا لايطاليا باحتلال زيلع أو مصوع .

(٢) هرر فتحها العساكر المصرية تحت قيادة محمدرؤف باشا في سنة ١٢٩٢ هـ ثم انسحبت العساكر منها في سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) راجع التوفيقات الالهامية

«مما أدهشنى فى بلاد «غالاة» كثرة الدعاية الاسلاميه الغيورة فيها ،
وقد لاحظت ان الشافعية فى « هرر » على اتصال دائم بالحرمين . فى جزيرة
العرب ، وان المئات من الشبان يأتون « لزيلع » و « بربرة » كل سنة ،
للتبشير (أى لنشر الدين الاسلامى) ويتسع نطاق أعمالهم الدينية ، ويتقدم
بسهولة ، بين قبائل الصومال - وان لم توجد فيهم روح الاسلام الصحيح
كثيرا -

وقد وزعت الحكومة المصرية ، على المسلمين ، فى « هرر » عندما
احتلتها عددا عظيما ، من المصاحف الشريفة ، الجميلة الطبع ، أكثرها مطبوع
فى مطبعة بولاق الأميرية ، حتى ان مسلى « شوى » حافظوا أشد المحافظة
على قواعد دينهم ، وكانت قوافل الحاج ترد منهم كل عام الى « تَعْرِه »
و « زيلع » اهـ

وكتب الماجور « هُنْشَر » Hunter فى رجب سنة ١٣٠١ هـ (ابريل
سنة ١٨٨٤ م) يقول : « انه من المحتمل اسلام جميع القبائل ، اذا دام الحكم
الحاضر بضع سنوات أخرى »

محمد رؤف باشا حاكم « هرر »

كان رؤف باشا الحاكم المصرى «لهرر» قد أصلح الفاسد من اخلاق
الصوماليين ، واستمال قلوبهم اليه ، فتعلقوا بمحبته ، - لانه قتل أمير «هرر»

المسمى « محمد عبد الشكور » الذى اشتهر بظلمه ، وسوء سيرته

ونشر الدين فى « هرر » والعدل ، والنظام

وما يؤثر عنه قوله للصوماليين : « أتم تدعون بأنكم مسلمون ، ولكن الشريعة الاسلامية ، تنهى عن القتل . فضعوا ، إذا أخبتم ، ريشة النعام البيضاء ، على رؤسكم ، ولكن ضعوها بعيدا ان تكونوا أتيتم عمل الجندى الباسل ، فى قتال قانونى ، لا بعدا ان تكونوا ارتكبتم جريمة القتل ، بالاغتيل ، والخديعة (١) »

تعدى الأحباش على « هرر » الاسلامية

بعد ان أخلى المصريون ، اماره (هرر) وانسحبت منها حاميتهم المصرية ، فى رجب سنة ١٢٩٢ هـ (ابريل سنة ١٨٧٥ م) أعيد إلى عرش الامارة « الأمير عبد الله . بن على » فلم يحل ذلك للرأس « منليك » صاحب « شوى » فاغار عليه بجيشه ، وقاتله فى (جلنقو) فى سنة ١٣٠٥ هـ (يناير سنة ١٨٨٧ م) وهزمه ، ففر الى بلاد « اوجادين »

(١) قبائل الصومال تميل الى القتل ، فاذا قتل أحدهم واحدا من الناس ، كان له الحق فى أن يضع فوق رأسه ، ريشة بيضاء من ريش النعام ، ويعرف عديد ضحاياه بعدد ما على رأسه من الريش . وعندهم ان الشاب الذى ليس على رأسه ريشة نعام بيضاء لا يعد صالحا للزواج - لذلك - تلقاهم إذا شرع واحد منهم فى الزواج . أخذ يبحث أولاً على ضحية من القبائل المجاورة ، أو الأجانب الرواد ، يبرر بقتله أخذ يد خطيبته . اه رحلة الحبشة ص ٤٨ و ٤٩

وقام بعده ابن عمه (على) فلم تطل مدته ، مع حامية المدينة ، التي كانت من الجنود الأحباش ، فقبض عليه بأمر حاكم « شوى » وأرسل اليه ، فزجه في سجن « شوى »

أما المسلمون الذين كانوا يقطنون في الهضبة الحبشية فقد لاقوا من العذاب ، والأذى ، والاضطهاد ، شيئاً كثيراً

حرق جامع غوندار واضطهاد المسلمين

أما في القسم الشمالى من بلاد الحبشة ، فإن الرأس (كاسا) اغتال الرأس (على) سنة ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣ م) ودعى نفسه (نجاشيا) على الحبشة في سنة (١٨٥٥ م) وسمى نفسه (تيودوروس) فجعل همه اضطهاد المسلمين والحاق الأذى بهم ، وتعطيل شعائرهم الدينية ، حتى أنه أشعل النار في جامع عاصمة (غوندار)

وبعد ان انتحر في حربه مع الأنكليز في سنة ١٨٦٨ م قام بعده النجاشى « يوحانس » فزاد في الاساءة إلى المسلمين ، لأنه كان يرى أن الإسلام خطر على مملكته ، بعد أن توسعت الحكومة المصرية الاسلامية في فتوحاتها ، واحتلت السودان ، ومصروع ، والهضبة الاريترية الشمالية ، فضغطت على حدود الحبشة غربا وشمالا

الحملة المصرية على الحبشة

ولا يخفى أن مصر كانت جهزت حملتين ضد الحبشة ، الأولى كانت في سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) بقيادة جنرال دانمركي ، فقهرت ، وقتلت عساكرها في واقعة « غندات » أو « غودًا غودي » على مرأى من النجاشي « يوحانس » والثانية كانت بقيادة الأمير « حسن باشا » ابن الخديوى « اسماعيل باشا » فدحرها الأحباش أشداندحار ، في موقعة « قراع » سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) وأسروا من نجا من القتل ، وأجبروا ضباطها المصريين ، على أن يمدوا أمام الجمهور وهم عراة استهزاء بهم وسخرية .

أكره خمسين ألفا من العامة على التبصر

وذكر المؤرخ الشهير « ارنولد » Arnold في كتابه النفيس The Preaching Of Islam المطبوع في Westminster عام ١٨٩٨ م ؛ ان خمسين ألفا من المسلمين ، أكرهوا في سنة ١٨٨٠ م على قبول العهد ونشأ طبعاً عن هذا الضعف الدينى ، اشتداد العداوة الدينية ، والجنسية بين الحبشة ، والمسلمين ، وهاجر من المسلمين عدد عظيم عن طريق القلايات فرارا بدينهم ، وأصبح حى الاسلام فى مدينة « غوندار » عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) خاويًا ، خاليًا من سكانه

وهب سكان بلاد « ولؤوغالا » في الجهة الشرقية من مقاطعة « احرا » إلى الثورة ، تلقاء الاضطهاد الحبشى للاسلام .

فزحف اليهم النجاشي « يوحانس » و « منليك » ملك « شوى » سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦ م) وأمعنا في النفوس قتلا ، وذبحا ، وفي البلاد تخريبا وهدما ،

الانتقام الالهى من النجاشى يوحانس

وقد انتقم الله سبحانه ، من النجاشى « يوحانس » فلقى حتفه ، فى واقعة « القلابات » على يد الدراويش فى (مارس سنة ١٨٨٩ م) الذين انتقموا للمسلمين ، من اضطهاد الحبشة لهم ، والتعرض لدينهم .

أنشودة حماسية ضد المسلمين

من جراء هذه الحروب ، المتتابة ، ازداد الحبشة بغضا على بغض للمسلمين وأخذوا ينشدون الأغانى بوجوب الفتك بهم .

وقد نقل الرواد أنشودة ، يتغنى بها أحباش « أحره » وترجمتها الى العربية هكذا :

« لقد ولدت هذه البقرة فى العام الماضى ، وندياها فى هذه السنة لا يزالان ممتلئان ، فكيف يطيب لنا العيش اذا لم تذبح هذه البقرة ؟ »

والتورية في هذه الأنشودة محصورة في الكلمة الاحرية « إجتسلام »
 فاذا نطق بها هكذا « اجس لام » (Egges—lam) كان معناها « هذه
 البقرة » واذا نطق بها « اج اسلام » (Egg—eslam) كان معناها هؤلاء
 المسلمون .

فانظر الى أى درجة بلغت عداوة الأحباش للمسلمين

النجاشي منليك والأسلام

فلما تملك النجاشي « منليك » على الحبشة ، آلى على نفسه ، ان يخضع جميع
 الممالك الاسلامية ، والبلاد الوثنية ، المتاخمة للهضبة الحبشية ، فبدأ بامتلاك
 « أوسة » الواقعة في السهل المنخفض للجهة الشرقية ، وقد اتخذها المسلمون
 مقراً لهم ، بعد ذهاب « احرا » منهم

ثم أخضع بلاد « الأوجادين » و « غالا أروسي » و « غالابورانه »
 وأقاليم « لمو » و « جتا » و « ليا كة » و « ولاغه » وملك « كفتا »
 التي يقطنها شعب « سداما »

ولما وقعت « لمو » بيد الأحباش في سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) كان
 جميع أهلها قد أسلموا ، منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري
 النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي) تبعاً لحاكمهم « أبابا باغيو »
 وكانت هذه المقاطعة في سنة ١٢٩٦ الهجرية (١٨٧٩ م) قد بلغ بها الإسلام
 (٤)

أوج عزه ، وقد اعتنقته الطبقات الفقيرة ، التي مزجت به كثيرا من عقائدها القديمة .

وقد حضر إلى هذه المقاطعة طائفة من القراء ، والعلماء ، لارشاد أهلها ، وغير أكثر السكان أسماءهم باسماء اسلامية ، « كمصطفى » و « على » و « عمر » الا أن الرؤساء حافظوا على أسمائهم الحربية ، بلغة « الغالا » وما زال السواد الأعظم من أهل « لِمُو » مسلمين .

وهذا مما يدل على استعداد تلك القبائل ، المتوحشة إلى اعتناق الاسلام والتمتع برفاهيته ، ومدينته ،

ولكن قلة المرشدين إلى الدين الصحيح ، تجعلهم يتخبطون في عقائده تخبطا

واذا أضفنا إلى ذلك حرص ملوك الحبشة ؛ على اضطهاد المسلمين ، والحيلولة بينهم وبين تقدمهم ادر كنا أن الاسلام في الحبشة يمشى زاحفا على أرض شائكة

سلطنة جما الإسلامية

كانت « جما » سلطنة وثنية ، وأسلم أهلها في النصف الأول من القرن الماضي ، بعناية تاجر مسلم مشهور باسم « نقادى شوى » و « بَغْمَدَر » ومعنى « نقادى » أى « دليل القافلة » ، وأصبحت سلطنة اسلامية ، وملكها السلطان محمود بن داود المشهور باسم « أبًا جفار » أى صاحب الحصان الكميت وهو من الألقاب التي يلقب بها الأبطال عند قبائل الغالا)

وقد تولى حكمها في سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) وكان على علاقة حسنة ، مع الحكومة الحبشية ، ومعيناً لها في ادارة البلاد الداخلة ، وهو المرجع الاعلى في المحاكمات ، واليه ترجع حماية الأجانب في الأسواق ، باشراف (نقاد راس) أى رئيس التجار .

ومع كل هذه المعونة التى كان يبذلها سلطان (جمباً) للحبشة ، توجهت الى سلطنته اطماع الحبشة ، فاعتدت على استقلالها ، وأدخلها «منليك» تحت حمايته في سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) تاركاً لها استقلالها الداخلى ، كباقي مقاطعات الحبشة المسيحية

وقد ابرم معها النجاشى (منليك) معاهدة نص فيها بأنها تظل مملكة وراثية في سلالة «أببا جفار» وعليها أن تؤدى جزية سنوية ، إلى حكومة «اديس ابابا» وكانت حكومة «اديس ابابا» تزيد في مقدار هذه الجزية سنة بعد سنة ، قاصدة أضعاف هذه السلطنة ، الاسلامية ، الوحيدة ، في الحبشة .

وكانت ترى ان زيادة الضرائب تؤدى الى الثورة ضد «أببا جفار» سلطانها ، ولكن لتعلق الأهالى المسلمين ، بسلطانهم ، لم تنجح هذه التجربة .

كيف كانت سلطنة جما في نظر المسلمين

لما كانت سلطنة جما هى السلطنة الاسلامية الباقية في الحبشة ، كانت الملجأ الوحيد لكثير من مسلمى الأحباش ، الذين يميلون إلى الأمن ،

والدعة ، باعتبارها السلطنة الاسلامية الوحيدة . التى بقى لها استقلالها الداخلى

ويجدر بنا فى هذه النقطة أن نذكر ما كتبه « السيردارلى » H. Darley فى كتابه الانكليزى المعنون Slavs and Tvery المطبوع فى لندن سنة ١٩٢٦ ميلادية فى وصف أعمال السلطان « ابا جفار » وهى شهادة لها قيمتها حيث قال : ما ترجمته : لم يكتف السلطان « ابا جفار » بان خلص أمته من براثن الاحباش ، بل قادها الى حياة الرخاء ، والغنى ، بتعزيزه التجارة فى البلاد وحسن السياسة ، حتى انى اعتقد انها ستصير أغنى الدول الافريقية ، وأسعدها . على أتى أخاف على مصير هذا الشعب ، الهادى . المحب للسلم ، والراحة ، عند وفاة سلطانه « ابا جفار » لانه لا يمر فى قطره حبشى ، إلا وينظر اليه بعين الطمع ، ويسيل لعابه ، من فرط الشهوة ، على خيراته .

فلا شك أن الحبشة سيقصدون الاستيلاء عليه ، إذ من أمثالهم السائرة ، قولهم : « بعد السنغالا الغالا » فلو قدر ، وتحقق مبتغاهم ، لاصبح هذا القطر ، بعد من قصير ، على الحالة التى عليها سائر اقاليم الحبشة - لان سعادة « جما » منوطة بنشاط شعبها ، وحسن حكم ملكها الحر ، المتساهل ، الذى لا يالو جهداً فى تشجيع الصناعة والتجارة »

هذا ماقاله الكاتب الانكليزى الشهير « السير دارلى » فى كتابه القيم ، فاصاب برأيه السديد كبد الحقيقة ، لان ملوك الحبشة عز عليهم ، أن توجد فى امبراطوريتهم ، الواسعة ، سلطنة اسلامية ، وقد تحقق ظنه بالغاء هذه السلطنة .

الغاء سلطنة « جما » الاسلامية وضمها للحبشة

لما توفي « أبنا جفار » الى رحمة الله تعالى سنة ١٣٥٣ هـ (سنة ١٩٣٤) وخلفه على عرش السلطنة ابنه « عبدالله » أخذ النجاشي الحالى « هيلاسى » يضيق الخناق على استقلال « جما » وفرض عليها شروطا ، لا تطاق .

ثم أعلن ضمها الى مملكته ، أى نزع منها استقلالها الداخلى ، ضاربا بالمعاهدة التى أبرمها معها النجاشي « منليك » سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) عرض الحائط .

وبسقوط هذه المملكة ، الاسلامية ، الزاهرة ، لم يبق فى الحبشة سلطنة اسلامية ، مستقلة ، بعد أن كانت الممالك الاسلامية فيها سبعا ، فى عصر واحد ، لكل واحدة منها جيش خاص ، وادارة خاصة ، واستقلال فى داخلتها ، كأنما ملوك الحبشة يعتقدون بأن قيام دوله اسلامية ، فى الحبشة قوية ، تكفى تسحق كل دين فيها وتجعلها « امبراطورية اسلامية افريقية »

ولكن اثبت التاريخ غير ما يظنون . فقد ذكر صاحب « مسالك الابصار » بعد تعداد هذه الممالك ما نصه :

« وجميع ملوك هذه الممالك ، وان توارثوها ؛ لا يستقل منهم بملك إلا من أقامه سلطان « احرا » .

ثم قال وهذه الممالك ضعيفة البناء ، قليلة الغناء لضعف تركيب أهلها

وقلة محصول بلادهم ، وتسلب « الحطى » (أى النجاشى) سلطان « احمر » عليهم .

ثم قال : وهم مع ذلك كبتهم متفرقة ، وذات بينهم فاسدة ولواتفتت كلمة هؤلاء الملوك السبعة ، واجتمعت ذات بينهم ، لقدروا على مدافعة « الحطى » أو التماسك معه ، ولكنهم مع ما هم عليه من الضعف ، واقتراق الكلمة ، بينهم تنافس ، وهم على ما هم عليه من الذلة ، والمسكنة للحطى ، عليهم قطائع مقررة ، تحمل إليه فى كل سنة ، من القماش . والحريز ، والكتان ، مما يجلب إليهم من مصر ، واليمن ، والعراق اه

والعاقل لا يشك فى أن ملوك الحبشة ، كانت توقع العداوة ، بين هذه الممالك الاسلامية ، وتنفرها من بعضها ، بالدسائس ، حتى لا تجتمع كلمتها ، على القيام فى وجهها .

زواج الرؤس المسيحيين بالنساء المسلمات

فى الحبشة

إذا رأى أحد الرؤس الاحباش ، أو سواهم ، من الحكام ، امرأة مسلمة ، فإنه يتزوجها ، وهو على النصرانية ، ولا يستطيع المسلمون ، أن يعارضوه وإلا عرّضوا أرواحهم ، للقتل ، وأمواهم ، للنهب .

وقد يتخذها خدناً وهو أحد أنواع الزواج عندهم
جاء فى رحلة الحبشة ما خلاصته بتصرف :

إن الزواج عند الأحباش المسيحيين ثلاثة أنواع :

الأول : يسمى « روموز » ويتم بأن يطلب الرجل من المرأة ، أن
ترضاه بعلا ، فان رضيت ، دخلت في عصمته ، ويتفرقان ،
متى أرادا .

الثاني : الزواج المدني بتراض من الطرفين ، وحضور الشهود

الثالث : الزواج الديني على يد القسيس

والنوع الأول هو اتخاذ الاخدان ، وأى امرأة مسلمة حبشية ، يطلب
منها الحاكم المسيحي أن تكون له خدنا وتأبى ؟ انها ان رفضت أمره جاءت
لنفسها وأهلها بالطامة الكبرى

وإليك ما كتبه صاحب «صبح الأعشى» في الجزء الخامس بالصفحة ٣٢١

قال : وكان الفقيه « عبد الله الزيلعى » سعى فى الابواب السلطانية ، عند
وصول رسول « احرا » إلى مصر ، فى تنجيز كتاب « البطريك » إليه ،
بكف أذيته عن فى بلاده ، من المسلمين ، وعن « أخذ حريمهم » ، وبرزت
المراسيم للبطريك بكتابة ذلك

فكتب اليه عن نفسه كتابا ، بليغا ، شافيا ، بعبارات أجاد فيها .

ثم قال المؤلف : « وفى هذا دلالة على الحال » اه أى دلالة على حال
المسلمين هناك ؛ والتعرض لنسأهم ، وهى حال من أسوأ الحالات . التى
وصلت اليها أقلية مسلمة ، فى دولة متمدنة ، أو متوحشة ، وهذه مصيبة
عظمى ، لم يصب بمثلها المسلمون ، فى غير الحبشة

تنصير المسلمين في الحبشة

الفوضى الدينية في الحبشة بالغة حدھا ، وملوك الحبشة يكرهون اقامة شعائر المسلمين الدينية ، ويظهر لك ذلك جلياً ، واضحا ، من قصة الرأس « مينخائيل » وولده النجاشي « ليدج اياسو » فقد كان الشاب « محمد علي » المسلم من رؤس قبيلة « ولو غاللا » فأعجب به النجاشي « منليك » فحمله على التنصر ، فارتد ، بلا تردد ، وتسمى بالرأس « مينخائيل » وتزوج احدى بنات « منليك » فولدت له ولدا تسمى « ليدج اياسو » فأحبّه جده وقدمه ، وجعله وارث عرشه

ولما مات النجاشي « منليك » في سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) ارتقى عرش الحبشة « ليدج اياسو » فأظهر ميلا ، وعطفا ، على المسلمين ، كأنما عرف أن أباه كان مسلما .

ويظن الكثيرون أن « ليدج اياسو » قد أسلم ، لما كان يظهره من المحبة ، والعطف ، على المسلمين ، على عكس ما كان يفعله ملوك الحبشة

ولما تأججت نيران الحرب الكبرى ، وامتلات ممالك الدنيا بالجواسيس كان في الحبشة بعض الألمان ، والترك ، فشجعوا « ليدج اياسو » وحسنوا له تأسيس « امبراطورية اسلامية في افريقيا الشرقية » وفعلا أخذ يهتم بتحقيق هذه الأمنية .

فلما علم رجال الاكبروس ، والرؤساء الاقباط بذلك ، اضطربوا ، وخافوا العاقبة

فاتفقوا مع « المطران » والرأس « تفرى » وعقدوا اجتماعا ، في « أديس أبابا » وخلعوه ، وأنزلوه عن عرش « اثيوبيا » في سنة ١٣٣٤ هـ (٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦) ونادوا بالأميرة « زوديتو » ابنة « منليك » امبراطورة على الحبشة ، على أن يخلفها الرأس « تفرى » ابن الرأس « ما كونين » على العرش

وفي سنة ١٣٤٩ هـ (سنة ١٩٣٠ م) توفيت الامبراطورة « زوديتو » فنودى بالرأس « تفرى » امبراطورا على الحبشة . وسمى « هيلاسلاسى » أما « ليدج اياسو » فقبض عليه ، وأودع السجن سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) ثم تمكن من الفرار في سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) ولكن قبض عليه ثانية ، والقي في احدى قمم « هرر » في سجن منفرد ، وأشيع بعد ذلك أنه مات . وكان قد تزوج بأمره مسلمة ، تسمى « دنكله » ورزق منها بولد ، سماه « منليك » على اسم جده ، يبلغ الآن نحو ١٩ سنة ، يعيش بائسا في « تغره » في الصومال الفرنسى .

وذكر الأب « متاؤس » في رسالة نشرها بمناسبة خلع « ليدج اياسو » واعتقاله ، حمل فيها على « ليدج » المذكور حملات شديدة ، قال فيها : « ان هذا النجاشى لم يكفه أنه جحد إيمانه المسيحى (مما يدل على أنهم اعتقدوا أنه اعتنق الاسلام) بل رضى أن يشيد لهم أى للمسلمين جامعا في « دير داوه » اه انظر كيف عدوا رضاه قبول بناء جامع للمسلمين ، يقيمون فيه شعائر دينهم ، ويعبدون ربهم ، جريمة كبرى ، تبرخلعه وزجه في اعماق السجون

ففي هذه الحكاية القصيرة ، نرى ان النجاشي دعا رجلا مسلما ، الى التنصر ، فأجابه خوفا وطمعاً

وان « ليدج اياسو » تزوج بامرأة مسلمة ، وهو على دين النصرانية

وإذا شئت أن تعرف ما بلغه ظلم ملوك الحبشة ، للمسلمين ، الذين يرفضون الدخول في النصرانية ، فاقراً ماجاء في « رحلة الحبشة » فقد وصف فيها مؤلفها ، تلك الوحشية ، التي تمثل أفظع جرائم الظلم ، قال :

« وكان عند المتمهدي رجل من أعيان الأحباش ، يسمى « محمد جبريل » وفد على المتمهدي ، واتبعه ، فارسله الى الحبشة ، ليدعو جميع المسيحيين فيها ، إلى الاسلام ، ويدعو سائر المسلمين الى الايمان بالمهدية ، والخضوع للمهدي

فصدع « محمد جبريل » بأمر المتمهدي ،

فلما رأى النجاشي « يوحانس » سعى هؤلاء . ودعوتهم . شغل هذا الأمر باله ، وبات في هم عظيم . وأخذ من ذلك الوقت ، يضطهد المسلمين . . .

فأدى اضطهاده هذا ، الى هجرة كثير منهم ، والتجأهم الى شيعة المتمهدي وأقاموا محلاً لأقامتهم ، في المكان المسمى « عراذيب » شمالي « القلابات » وسموه « تبارك الله » .

ثم قال : ورأيت بعيني بعض المسلمين ، الذين كان « يوحانس » قد قطع أيديهم ، وأرجلهم «

فانظر كيف ان النجاشى لم يجد عقابا للمسلمين الذين لم يقبلوا الدخول فى النصرانية ، سوى تقطيع أيديهم ، وأرجلهم ، من خلاف ، كما فعل « فرعون مصر » فى السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام .



فرغنا من ذكر حال المسلمين ، فى الحبشة ، فيما مضى ، وسنذكر أحوالهم ، ومواطنهم ، وعددهم ، فى هذه الأيام ، ونقارنها بحال اخوانهم ، الساكنين فى البلاد المجاورة للمملكة « أثيوبيا » ليعلم المسلمون ، فى مختلف الأقطار ، أن مسلمى الحبشة مع ما تحملهم حكومة النجاشى ، من متاعب هم عضلات سواعدها ، وشرابين حياتها ومنابع ثروتها ، ولحام قوتها ولو أنها قابلت اخلاصهم لها ، مقابلة الدول الأخرى ، لرعاياها المخلصين لأصبحت من أرقى الممالك شأنا ، وأعزها مكانا

مواطن الاسلام داخل حدود الحبشة

أولا — ينتشر المسلمون فى جميع أرض الحبشة ، بين كثرة وقلة . ففي جنوب الحبشة ، وشرقها ، طائفة كبيرة ، من المسلمين ، يقيمون فى « هرر » و « أوجادين » ولهم ارتباط شديد بمسلمى « أروسى »

وفى الغرب أكثرية المسلمين فى جهات « غاله الغوما » و « غما » و « قيره » و « ولمواناريا » و « جما » و « جارو » و « شمارو » و « الببا » و « هديا » و « ضنله »

أما سكان «غوراغه» و «ننو» و «واليزو» فهم خليط من المسلمين،
والمسيحيين .

ثانياً — وفي غرب «أديس ابابا» توجد قبائل «وُرجى» و «كُتى»
وهم مسلمون .

وربما كانوا من سلالة طوائف اسلامية ، كانت تقيم على طول الطريق
التي كانت تربط مسلمى الشواطىء الافريقية الممتدة على البحر الاحمر ،
بالشعوب الاسلامية فى غرب الحبشة .
وهذه الطريق مهمة الآن .

ثالثاً — و يقيم فى «شوى» و «احراه» و «التغرى» جماعات من المسلمين .
وقد انتشروا فى تلك النواحي ، وربما كان بينهم قبائل منحدره من
أصل يمنى

رابعا — جميع سكان «اوسه» من بلاد «الدناكل» مسلمون .

تعداد المسلمين فى الحبشة

لم يحصل فى الحبشة احصاء يوثق به ، ولكن اختلاف الاحصائيون فى
تعدادها ، تعداداً بوجه التقريب وأقربه أن تعداد سكان الحبشة تسعة ملايين،
منهم ثلاثة ملايين مسلمون ، وثلاثة ملايين ونصف مليون مسيحيون .
ومليونان ونصف مليون على الوثنية ، وأديان أخرى .

وقيل : إن تعداد الحبشة ١٢ مليوناً منها ٨ ملايين مسلمين ، وهذا وإن

كان أكثر من الحقيقة على ما يظن - إلا أنه يشير الى وجود أكثرية عظيمة ،
للعنصر الاسلامى ، فى الحبشة .

أسماء الشعوب الاسلامية فى الحبشة

يعرف المسلمون فى الحبشة . بأسماء مختلفة ، كالسلام (وهم المسلمون من
أصل حبشى)

ونقادى ، (وهم التجار) . وهذه التسمية تدل على أن التجارة ،
فى يد المسلمين .

وجبرتى ، وهم بنو عقيل بن أبى طالب ، الذين سكنوا جبرت فى بدء
دخول المسلمين ، إلى الحبشة ، وأسسوا مملكة « وفات » وهى أول مملكة
إسلامية فى الحبشة ، كما قدمنا ، ثم انتشروا فى بقية البلاد .

أما مسلمو السهول الواطئة ، فيسمون « نباده » أو « إسلام بحرى »
أى المسلمون الذين جاؤا من البحر .

لغات المسلمين فى الحبشة

يتكلم أكثر المسلمين فى الحبشة اللغة العربية ، لأنها لغة القرآن ، وقد
حافظوا عليها من عهد دخول أجدادهم من عرب اليمن ، والحجاز ، الى البلاد
وتتكلم كل طائفة - ددا ذلك - بلغة المقاطعة التى تعيش فيها . وهذا

طبيعى بداعى المعاملة ، فسلمو شمال الحبشة يتكلمون اللغة « الاحرية »
وسكان اراضى « هرر » لهم رطانة بربرية .

وفى غرب الحبشة ، وجنوبها ، تسيطر اللغتان « الغالية ، والصومالية »

المذاهب الاسلامية فى الحبشة

أكثر مسلمى الحبشة يتعبدون على مذهب الامام « محمد بن ادريس »
الشافعى رضى الله عنه

ويوجد فى بعض الانحاء الشمالية « أحناف » وقليل من الحبشة من هم
على مذهب الامام « مالك » رضى الله عنه

ولا يوجد فى الحبشة حنابلة « وهذا أمر طبيعى ، لان الحنابلة ، معروفون
بشدة تمسكهم بالسنة المحمدية ، وتصلبهم فى دقة اتباعها ، تصلبا حملهم فى كثير
من العصور على مقاتلة مخالفينهم .

ولو كان فى الحبشة « حنابلة » لآبادتهم الحروب ، أو يقيمون السنة
بمخافيرها .

نشاط المسلمين الطبيعى فى الحبشة

الرواد الذين جاؤوا بلاد الحبشة ، طولا ، وعرضا ، ودرسوا طبائع سكانها
واحتكوا بالأهالى ، زمنا طويلا ، ووقفوا على سر حياتهم الاجتماعية ، ومبلغ
مداركهم ، شهدوا بان مسلمى الحبشة عموما ذوو نشاط ، وعلى جانب عظيم ،

من الذكاء ، ولهم التفوق على غيرهم ، من السكان ، في حلبة تنازع البقاء .
وقد صدق أولئك الشهود ، العدول ، إذ لولا ذلك ، لجرفهم سيل
الطغيان الحبشى ، وأبادهم بكثرة الحروب ، وابتزاز الأموال ، والضغط عليهم ،
من ملوك الحبشة ، ورؤسها ، في جميع مرافق الحياة

الصناعة ، والزراعة ، والتجارة

يتعاطى المسلمون في الحبشة ، مختلف الحرف ، والصناعات المفيدة ،
ولهم حظ وافر في التجارة

وقد ذكرت الجرائد في هذه الأيام ، أن التجار في الحبشة ، قدموا
للإمبراطور ، مساعدة مالية ، كبيرة ، قدرت بملايين الجنيهات ، والريالات
ووعده بمساعدات أخرى مثلاً

وقد مرّ أن أغلب تجار الحبشة مسلمون ، ولئن كانت هذه المساعدة
عن طيب خاطر ، فهم أهل لها ، ومثلها

وان كانت عن طلب ، وضغط شديد ، فشيء احتملوه ، واعتادوه ، من
قديم ، فإنهم مهردون بالمصادرة . في كل لحظة ، فما ظهرت على أحدهم آثار
نعمة ، الاطمع الرؤساء بسلبها منه .

وهنا ثبت ما كتبه المرحوم صادق باشا العظم في رحلته للحبشة بالصفحة
١٥٩ وهو في « اديس ابابا » قال : « وأنى لزيارتنا « آتوبالا يتبخ » الرجل

الذى كنا نعرفنا عليه في مرحلة « تاديجا مالكا » وقد كان اكرمنا غاية الاكرام؛
وأراد أن يهديني بغلا ، وكنت رأيته في « تاديجا مالكا » بملابس ثمينة ،
وعلى رأسه قبة جميلة ، وعليه ثوب من الجوخ الأسود ، مبطن بالحرير .

ولكن لما جاء لزيارتنا هنا ، رأيته بعكس الهيئة المذكورة ، اذ كان حافي
القدمين ، مكشوف الرأس ، وملابسه قميص ، ولباس ، مصنوعان من البفتة
السمراء ، وعليها ثوب من اللباد العريض

وجلسنا نتكلم ، وكان صاحب المنزل ، يترجم كلامنا .

فسألت المترجم عن سبب ذلك ، من غير أن يشعر الرجل

فقال : أنه عند ما يكون في العاصمة ، يضطر لمقابلة كثير من الرؤساء ،
والأمراء فلذلك يرتدى بالملابس البسيطة . اظهاراً للتواضع . والخضوع
والطاعة . حتى أن بعض الأغنياء منهم . يتظاهرون في بعض الأحيان بالفقر
والفاقة . أمام الرؤساء .

وهذا يعد من جهة « تواضعا » ومن جهة أخرى ، بابا للوصول الى
السلامة ، من طمع الطامعين .

وقد ترك زائري جميع خدمه ، وبغاله ، في « شولا » وحضر وحده
الى « أديس أبابا » . اهـ

وهذه الحكاية على قلة كلماتها ، قد ذكرها المؤلف ، ولم يعلق عليها
شيئاً ، مع أنها ذات معنى كبير ، ومغزى خطير ، يدلنا على ما عند رؤساء

الحبشة ، وملوكها ، من الكبرياء ، والجبروت ، في معاملة المسلمين . اذ يعز عليهم ، أن يروا في بلادهم ، مسلماً يظهر عليه أثر النعمة ، والثراء ، ويعدون ذلك منه امتحاناً لمقامهم .

ولا يحلو لهم إلا إذا كان فقيراً ذليلاً .

سهولة نشر الاسلام في الحبشة بين الشعوب الوثنية

يجد دعاة الاسلام ، في الحبشة ، مرتعاً خصيباً ، في الشعوب الوثنية ، لنشر الاسلام لما يجدون في هذا الدين ، القويم ، من الفضائل ، التي تقوم على العدل ، والمساواة ، والصدق ، والأمانة . والنظافة ، والبعد عن الفحشاء

وقد لاحظوا ذلك طبعاً في معاملاتهم للمسلمين ، فكان الرؤساء الوثنيون يدخلون في الدين الاسلامي ، فرحين . مستبشرين ، ويلحق بهم جميع متبعيهم . وسرعان ما ينقل هؤلاء من الخمول إلى النشاط ، ويطرحون الكسل جانبا ، كما حصل في القرن الماضي

وقد عانى المبشرون بالمداهب المسيحية ، الشدة ، في ادخال الوثنيين ، في حظيرتهم ، أو رد مسلميهم عن الاسلام ، فلم يحصلوا على شيء من الفائدة . وما يليق ذكره هنا ما رواه الرحالة « شكى » عن الحاكم « جيره » المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) أنه وصلت اليه نسخة من الوصية ،
(٥)

التي نشرها خادم الحجرة النبوية الشريفة ، وقال فيها أنه رأى النبي (ﷺ) في نومه فأمره أن يرشد المسلمين ، إلى العمل بشرعه ، وسنته .

فلما قرئت على الرأس « جيره » أسلم من فوره ، وتبعه كثير ممن هم تحت سلطانه ، ودخلوا في الإسلام .

وعلى أثر ذلك تناقل الناس نسخاً من هذه الوصية . وانتشرت في « افريقيا الشرقية » حتى بلغت « تانجانيقا » سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ولجأ اليها المسلمون ، في نشر الإسلام ، وتقوية دعائمه .

تأثير الطرق الصوفية في نشر الإسلام

ومن الوسائط الفعالة ، والتي كانت . ولا تزال ، أكثر الوسائط نفعا وأشدّها تأثيرا ، في نشر الاسلام ، وتمكين روابطه بين المسلمين في الحبشة هي الطرق الصوفية ، والقائمون بها هناك على جانب عظيم . من التقوى ، والصلاح وحب الاصلاح

فن هذه الطرق « الشاذلية » و « القادرية » و « الحتمية » .

وقال المرحوم صادق باشا العظم في رحلته بالصفحة ١٦٧ انه سمع بعض المسلمين في الحبشة يذشدون قصائد فيها إسم الشيخ « عبد القادر الجيلاني » صاحب الطريقة القادرية ، رضى الله عنه .

ومشايع هذه الطرق يجتهدون في حث اتباعهم ، على المحافظة على اقامته

الفرائض والسنن ، وعلى نشر الدين المحمدى ، ما وجدوا لذلك سبيلا ،
واتباعهم ينقادون الى أوامرهم ، ويعملون بها قدر المستطاع

حسنت الطرق الصوفية فى الحبشة

من حسنت هذه الطرق فى الحبشة ، أنها تودى أعمال الجمعيات الخيرية
الاسلامية ، فتذكى نار الحماسة ، فى صدور اتباعها ، وتجعلهم قوة متحدة ،
على نشر العلم ، والفضيلة .

وقد فتحوا المسكاتب ، والمدارس ، المجانية ، فى جميع البلاد ، والقرى
التي لهم فيها اتباع ومريدون .

لذلك : نجد الاهالى يتفانون فى حب مشايخهم ، فيجعلون قبورهم بعد
موتهم « مزاراً » يقصدونه ، للزيارة ، والتبرك .

ومن أشهر قبور الاولياء هناك قبر الشيخ الصالح « نور حسين » من
شيوخ الطريقة الاحمدية ، التي أسسها السيد « احمد بن إدريس الاسيرى »
فهو محط الرحال ، فى مقاطعة « أروسى »

وقد ترجمت حياة هذا الشيخ الجليل ومناقبه ، فى ثلاث مجلدات ،
وطبعت باللغة العربية فى القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) ووزعت على
المسلمين ، القاطنين ، فى جنوب الحبشة ، وغربها

علاقة مسلمى الحبشة بالممالك الإسلامية

لقد استطاع المسلمون فى الحبشة ، أن يجعلوا بينهم ، وبين الممالك الإسلامية المجاورة لهم ، روابط ثقافية ، واقتصادية ، متينة ، كمصر التى فيها « الجامع الازهر » المعمور . وقد أمه فيما مضى طلاب كثيرون ، لاخذ العلم ، ولهم فى الازهر الشريف « رواق » شهير يسمى « رواق الجبرية » نبغ منه كثير من جهابذة العلماء ، كالشيخ الامام الزيلعى نخر الدين عثمان ابن على شارح الكنز المتوفى سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٢ م) ، والمحدث الكبير الزيلعى جمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد المتوفى سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م) ، والعارف بالله الشيخ على الجبرتى الذى كان يعتقده السلطان قايتباى ، وقد توفى سنة ٨٩٩ هـ (١٤٩٣ م) كانص عليه ابن اياس ، والشيخ حسن بن برهان الدين الجبرتى وولده المؤرخ الشهير الشيخ عبد الرحمن الجبرتى صاحب التاريخ المشهور المسمى « عجائب الآثار . فى التراجم والاخبار » والشيخ احمد بن محمد الجبرتى والذى كان شيخاً على الرواق فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى

وما يستحق الذكر هنا أنه لما توفى الشيخ « بشرى » شيخ هذا الرواق وهو من اقليم « تغرى » وقع نزاع بين الطلاب ، لأن أهالى « تغرى » ، وهم الجبرية ، كانوا أكثرية فيه ، وطلبوا من مشيخة الازهر الشريف أن يعين الشيخ من بينهم ، لزعمتهم أن الرواق ، إنما هو وقف عليهم ، وأن ليس لمسلمى أقاليم « أحره » و « شوى » و « هرر » نصيب فى تعيين المشايخ منهم .

ولما اشتد بينهم النزاع ، رأت المشيخة أن الرواق ، وإن كان يسمى « رواق الجبرية » للتغليب ، إلا أنه في الحقيقة رواق لجميع مسلمي الحبشة .

وعلى هذا رأى تعين الشيخ « أحمد محمد » من « مصوع » شيخاً للرواق المذكور .

البعثة الأزهرية للحبشة

وفي سنة ١٩٣٤ م ، أرسلت مشيخة الأزهر الشريف بعثة اسلامية ، دينية إلى الحبشة لترشد الأهالي المسلمين إلى الدين القويم ، وهي مؤلفة من صاحبي الفضيلة « الشيخ محمود النشوى » و « الشيخ يوسف على يوسف »

وقد استبشر مسلمو الحبشة بهذه البعثة المباركة ، وقد ورد منها للمشيخة تقرير طريف ، عن وصف مهمتها . وهذا نصه ، نقلا عن كتاب « المسألة الحبشية » .

« لما كان الجامع الأزهر الشريف ، مبعث الهداية الاسلامية ، ومشرق نورها ، في جميع أنحاء الدنيا ، اتجه إليه المسلمون من جميع الاقطار ، يطلبون منه في إلحاح أن يبعث إليهم من صفوة خريجيه ، من يرشدهم ، ويفقههم ، في أمور دينهم ، وينشر بينهم الثقافة الاسلامية ، واللغة العربية .

وكان من بين البلدان التي تقدمت إليه بهذا المطلب « جنوب أفريقيا » و « أمريكا » و « اليابان » وبلاد « الحبشة » .

وقد سارعت مشيخة الأزهر الجليلة إلى دعوة خريجي قسم التخصص ، واختبرتهم اختبارا عاما بعد أن ألقت لجنة عليا لهذا الغرض ، وكان من حسن حظنا أن ندبتنا مشيخة الأزهر للذهاب إلى بلاد الحبشة ، لنشر الثقافة الإسلامية فيها .

وقد سافرنا من « بورسعيد » في يوم ٣١ يناير سنة ١٩٣٥ وقد وصلنا إلى « اديس أبابا » عاصمة « أثيوبيا » يوم ٦ فبراير ، وكانت رحلتنا إليها جميلة ، وسارة ، وقد فرح المسلمون بقدومنا ، وأقبلوا علينا مرحبين ، مهنيين ، شاكرين ، لمصر ، وللجامع الأزهر ، فضله عليهم ، وتلبية طلبهم ، وقد وجدنا في العرب ، ومسلمي الحبشة أهلا بأهل ، وإخوانا باخوان .

ولا يفوتنا شكر رجال القنصلية المصرية ، وفي مقدمتهم حضرة القنصل الكريم ، فهم مافتقروا يساعدوننا بمعلوماتهم ، واختباراتهم .

وبعد أسبوع من وصولنا ، أغنى بعد أن خفت الزيارات ، وقلت وفود المرحبين ، بدأنا عملنا في مدرسة « نادى الاتفاق الإسلامى » واتخذنا من المسجد ميدانا لالقاء العظات التى رأينا أنها تنفع مسلمي هذه البلاد

أما المدرسة ، فإن العمل فيها شاق إلى أقصى حد ، نظرا لاختلاف أسنان الطلبة فيها ، وتباين بيئاتهم ، وتعدد لغاتهم ، ففيها أحباش ، وعرب يمنيون ، وحضرميون ، وهنود ، وأتراك ، وصومال . والطلبة الأحباش أنفسهم من مقاطعات مختلفة ، مما يجعل الدرس الواحد ، يعادل خمسة دروس ، في مصر ، على الأقل . ولكننا في الوقت نفسه نجد سرورا في

العمل بها للتقدم الحسن الذى نشاهده فى طلبتها . وقد أصبح سهلا عليهم ،
وخصوصا طلبة الفرق المتقدمة أن يفهموا العريية الصحيحة .

ونحن نقوم الآن بتدريس أهم المواد ، وأشقها ، كالتوحيد ، وفقه
الشافعى ، والتاريخ ، والاخلاق الدينية ، وتحفيظ القرآن الكريم ، بطريقة
تجعلهم يدركون المعنى الاجمالى لكتاب الله .

وقد وجدنا فى استعداد أبناء المدرسة الفطرى ، وذكائهم الطبيعى ، خير
معاون لنا ، على أن نتقدم بالاولاد فى هذه المدة الوجيزة الى قضيتها بينهم
فى المقررات الموضوعية رغم أنها فى حاجة الى تهذيب . فهى بوجه عام فوق
مستوى الاولاد ، ونرجو فى المستقبل أن نوفق لاقتناع القائمين بإدارة
المدرسة بذلك ، حتى نعمل على تعديلها بما يناسب مدارك الطلبة ، وتحقيق
الامل المنشود فى هؤلاء التلاميذ ، الذين لا شك فى أنهم سيمتغن بهم حالة
مسلى الحبشة ، متى صاروا رجالا

وأما الوعظ ، فاننا نرى ان الحبشى مفطور على حب الدين ، واجلال
رجاله . والعقل الحبشى من أخصب العقول لتلقى العظات ، والانتفاع بها ،
فهم قوم قلوبهم طاهرة نقية ، فحينما يلقى أحدنا العظة يترامى الناس ، وخصوصا
الاحباش ، على يديه ، وكتفيه ، بل رجليه ، ثما ، وتقبيلا .

ومما يدل على أن احترام الاحباش لرجال الدين عامة ، ان المسيحيين
منهم ، حينما يقابلوننا يحووننا بالانحاء الشديد ، وبرفع قبعاتهم ، اجلالا ،
وتلك هى التحية الحبشية .

ونحن نرجو أن نصل بالمسلمين منهم إلى الاكتفاء بالتحايا التي يجيزها

« الاسلام » فحسب

وقد تخيرنا من موضوعات الوعظ ، « التعليم » والحث عليه . ومما لاحظناه أنه يندر أن تجد مسلماً لا يعلق التأمم ، والأحجية ، المتعددة ، الكثيرة ، على صدره . وهذا يدل على أنهم يعتقدون في الدجالين ، والمشعوذين ، ويقدمون اليهم أنفسهم ، ونفيسهم ، على فقرهم وحاجتهم

وكذلك وعظناهم في « البغاء وضرورة الابتعاد عنه » وخاصة لما يترتب عليه من الأمراض الخبيثة : المنتشرة فعلاً بينهم ، والتي لا يهتمون بعلاجها . كما نهيناهم عن كثير مما يفعلونه ، في أعراسهم ، وما تتمهم ، والاسلام لا يجيزه . وأنه ليسرنا أن نجد نصائحنا ، وعظائنا ، تنفذ إلى قلوبهم ، ويعملون بها . وانا لجادوثون الآن في دراسة ، عادات البلاد ، وأحوالها الاجتماعية دراسة جدية ، مع النظر فيها من الوجهة الاسلامية ، حتى تكون عظائنا مبنية على أساس متين . ولا يفوتنا أن نذكر ان من طرق الوعظ ، والتعليم ، في هذه البلاد ، افتتاح المنازل ، والقاء دروس بها ، وافتاء من يحضر للاستفتاء بها . ونحن مجارة للعرف نستقبل الناس يومياً بعد أداء أعمالنا الأخرى

وقد عرض علينا كثير من الفتاوى ، فأجبنا بما كان موضع الثقة ، والقبول .

ومما تحسن الإشارة اليه أن الفتيا ، والقضاء في هذه البلاد ، على مذهب إمامنا الشافعي ، رضى الله عنه . وهو المذهب الذي يعتنقه معظم مسلمي

الحبشة ، والذي يقوم بالقضاء بينهم قاض واحد « باديس ابابا » وحكمه نافذ ، إلا إذا استؤنف أمام هيئة أخرى من العلماء ، وكثيراً ما قمنا نحن بمهمة النظر ، في القضايا المستأنفة ، وهو ما يستلزم منا مراجعة ، وبحثاً طويلاً

ومما استفتينا فيه أخيراً ان شاباً تزوج بفتاة بكر ، وفي اليوم التالى لزواجه بها طلب استرداد المهر ، مدعياً أنه وجدها ثيباً ، فرفع والد الفتاة دعوى أمام القاضى ، طالباً حد المتهم حد القذف . . . وأشبه ذلك مما يعرض علينا كثير

وفي البلاد هيئات متعددة ، منها « نادى الاتفاق الاسلامى » و « الجمعية الوطنية » و « جمعية التعاون » وصلتنا بنادى « الاتفاق الاسلامى » وثيقة بحكم عملنا الرسمى وهو أهم هذه الهيئات ، وأغناها ، وأنفعها ، وأوسعها نفوذاً ونحن نرجو أن توجد فى المستقبل القريب فى هذه البلاد ، شبيبة حبشية ، مسلمة ، تقوم على أكتافها نهضة تتقدم بها هذه البلاد النبيلة « اه
وبمناسبة هذه البعثة نقول :

لو أن مشيخة الأزهر الموقرة ، تعد لهذه المأمورية المهمة طلاباً من الحبشة من « رواق الجبرية » فتخصصهم بعنايتها ثم ترسلهم بعد ذلك الى بلادهم ، بمراتب قليلة ، فيكونوا رسل علم ، ودين ، من هذا المعهد العالمى ، وهم أدرى بلغة بلادهم وطبائع أهلها وتكون النتيجة أكثر فائدة لأن المسلمين متفرقون فى بلاد الحبشة المترامية الأطراف وفى حاجة الى عدد كبير من العلماء والمرشدين ، ولا يتأتى إيجاد العدد المطلوب إلا من أبناء الحبشة أنفسهم .

وكذلك تربط مسلمى الحبشة بالسودان المصرى روابط القرابة ، والثقافة التى نشأت عن طريق « المتمة » و « الرصيرص » من المسلمين الذين هاجروا من الحبشة ، هربا من ظلم النجاشى « يوحنا » الذى كان يحملهم على الارتداد الى الكفر ، بعد الايمان .

أما ارتباطهم بمسلمى الين ، فيرجع الى علاقات قديمة العهد ، نشأت عن تبادل التجارة ، ولقرب ما بين القطرين . وقد أدخل اليمانيون الى الحبشة زراعة البن ، وغيرها

أما علاقة مسلمى الحبشة بالحجاز ، فقد نشأت عن المجاورة ، والتجارة ، من جهة ، وعن الحج من جهة أخرى .

وقد كانت مكة تغص بالحجاج الاحباش ، فيما مضى . ولكن قل عددهم فى هذه السنين ، لأسباب جمّة

وقد كان عدد من حج منهم فى سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٢ م) ٤٩ حاجاً ، وفى سنة ١٣٥٣ كان ٢٩ حاجاً فقط

ولا يبعد أن المعاهدات التى تمت بين الحبشة ، وحكومة الحجاز ، تسهل السبيل للمسلمين الاحباش ، فيكثر عدد الحجاج منهم ، فى الأعوام المقبلة ، إذ لم تكن الأسباب المانعة من ذلك من نفس حكومة الحبشة

درجة الثقافة الدينية ، والعلمية ، عند مسلمي الحبشة

أن المسلمين في الحبشة ، في هذه الأيام ، ليسوا سواء في درجة الثقافة ، الدينية ، والعلمية ، وماذا لك الامن كثرة ما وقع عليهم من الأذى ، والضغط منذ القرون الماضية .

وقد كان منهم قبل ذلك العلماء الاعلام ، كالزليعى العلامة فخر الدين عثمان بن على ، شارح متن الكنز ، واسماعيل بن ابراهيم الجبرتي ، وعبدالله ابن يوسف الزليعى وغيرهم ممن ذكرناهم من قبل .
ولكن أنى لهم التقدم فى العلم ، والدين ، وسوط الظلم والاضطهاد مـشـرـع فوق رؤسهم

وهذا صاحب « صبح الاعشى » يخبرنا عن شىء من أنواع ذلك الاضطهاد الواقع فى زمانه ، فقد قال بعد ذكر « الممالك الاسلامية » مانصه :
« وقد أتى « الحطى » ملك الحبشة النصارى ، على معظم هذه الممالك ، بعد الثمانمائة ، وخربها ، وقتل أهلها ، وحرق ما بها من المصاحف ، واكره الكثير منهم على الدخول فى دين النصرانية ، ولم يبق من ملوكها سوى ابن مسمار المقابلة بلاده لجزيرة « دهلك » تحت طاعة « الحطى » وله عليه اتاوة مقررة ، والسلطان « سعد الدين » صاحب « زيلع » ومامعها ، وهو عاص عليه ، خارج عن طاعته ، بينهما حروب لا تنقطع .

وللسلطان « سعد الدين » فى كثير من الأوقات النصرة عليه ؛

والغلبة (١) . اهـ

وإذا علمت ان المسلمين في عاصمة الحبشة ، لم تسمح لهم الحكومة الحبشية ببناء مسجد ، لاقامة الشعائر الدينية ، ولا بإنشاء مقبرة ، لدفن موتاهم ، عرفت مبلغ ذلك الضغط ، على مسلمي الحبشة ، الضعاف ، من حكومة الأسد الخارج من سبط يهوذا

واليك ما قاله صاحب الرحلة في الصفحة ١٤٣

« وعند الصباح ورد قبل كل الناس التجار الهنود المسلمون ، ومعهم صحف الورد ، والزهور ، والمياه المعطرة ، والمناديل ذات الروائح الطيبة وبينما كنا نشرب القهوة ، كنا نتجاذب أطراف الكلام ، فانتقل حديثنا إلى صلاة الجمعة ، وعلمنا منهم أنه لا يوجد في « اديس ابابا » مسجد . وان المسلمين يؤدون صلاة العيد في الفضاء —

وقد قيل لي أن المسيحيين في « اديس ابابا » من غير الاحباش ، مثل الكاثوليك ، والروم ، والارمن أرادوا أن يبنوا كنائس خاصة بهم ، فعرضوا ذلك للحكومة الحبشية ، فأجابتهم بقولها : « انكم وايانا مسيحيون ، فيمكنكم أن تصلوا في كنائسنا ، فلا لزوم لبناء كنائس أخرى »

فإن ذلك لم يقدم المسلمون ، لإنشاء جامع ، خوفاً من ان تمنعهم الحكومة ، كما منعت الطوائف الأخرى .

وقد علمت منهم أيضاً ، ان المسلمين الذين يبلغ عددهم زهاء الفين ، في « اديس ابابا » ليس لهم مقبرة خاصة بهم ، بل هم يدفنون موتاهم في منازلهم ، وحدائقهم . اهـ

ثم أتدرى أبها القارئ المحترم ، ماذا تم بعد ذلك ؟

ان صادق باشا بسأل الامبراطور « منليك » أن يأذن للمسلمين ،
ببناء جامع ، ومقبرة ، فأذن له ، وفرح المسلمون بذلك ، واقترح عليهم أن
يسمى الجامع « حميدية » تيمنا باسم السلطان « عبد الحميد » الذى أوفده
الى الحبشة .

وبعد سفر الباشا ، نكث « النجاشى » عهده ، وبقيت « أديس أبابا »
بدون جامع ، حتى نقلت إلينا الجرائد فى هذه الأيام ، أن الامبراطور
« هيلاسلاسى » سمح للمسلمين ببناء جامع ، فى عاصمة بلاده
« أديس أبابا »

وبما أن النجاشى « منليك » سمح ببناء هذا الجامع فى سنة ١٣٢٢ هـ
(١٩٠٤ م) اكراما لرغبة ضيفه ، مندوب سلطان « تركيا » فيكون
أمر هذا الجامع أهمل مدة ٣٣ سنة ، حتى وافق النجاشى « هيلاسلاسى » على
هذه المكرمة

فهل عين رأت ، أو أذن سمعت بأفككه من هذه المكرمة ؟

يا لها منحة عظيمة ، من دولة شرقية ، عريقة ، فى القدم ، لرعاياها المسلمين
الذين يماثلونها ، فى العدد ، ويجاورونها منذ ١٣ قرنا ، وضيوفا الذين هم
روح الاقتصاد ؛ ويدهم تجارة البلاد

كأن رجال هذه المملكة ؛ لم يبلغهم أن مساجد المسلمين شيدت فى أكثر
عواصم أوربا كـ لندن ، وباريس

وعلى كل حال فنحن نشكر لجلالة الامبراطور « هيلاسلاسى » معروفه

الكبير ، وتتمنى أن لا يحول بين أمره ، ببناء الجامع ، وبين تنفيذ هذا الأمر مانع جديد

هذا : ولنا آمال عظيمة ، نعلقها على همة حضرات أعضاء البعثة الأزهرية المحترمين ، راجين بأن تكون بعثتهم فاتحة نهضة ، علمية دينية اسلامية في الحبشة ، يبق لها الأثر الصالح ؛ ما بقيت الايام

حالة مسلمي الحبشة بالنسبة لشعبها المسيحي

الشعب المسيحي في الحبشة ، يعيد لنا ذكرى الشعوب القديمة ، التي كان كل شعب منها يظن أنه هو وحده ، من سلالة الأبرار ، وان كل الشعوب الأخرى ، أخط منه في الانسانية ، ودونه في الحقوق

لذلك — فهو ، يعامل مواطنيه المسلمين ، على هذه القاعدة البائدة

وقد علمت فيما تقدم أن مدينة « أديس أبابا » من عهد نشأتها ، الى الآن ، لم يسمح فيها للمسلمين باقامة مسجد ، ولا مقبرة اسلامية . وان المسلم لا يستطيع أن يظهر أمام الرؤس الاحباش ؛ بمظهر الثراء ، والنعمة ، حتى لا يعد عاصياً ؛ وقليل الطاعة لسادته

الشريطة الزرقاء

وقد حدثنا صاحب الرحلة الحبشية فى الصفحة ١٦٠ بأن المسيحى الحبشى ، لا يأكل مع المسلم ، على مائدة واحدة ، ويميز نفسه بشريطة زرقاء حول عنقه . ويعلق فيها « صليبا » صغيرا . من الفضة : أو غيرها ، من المعادن ، وتسمى عندهم « ماتب » اهـ

وإذا أردت أن تعرف قيمة هذه الشريطة ، فاسمع ما قاله عنها أحد الرواد الفرنسيين . وهو ما يأتى :

« ان أفضل جواز للسفر يعطاه السائح الغريب . فى الحبشة . هو شريطة من الحرير الأزرق . يلبسها فى عنقه . فوق ملابسه ، وبها يعرفون أنه من أبناء ملكة « سبأ » ويبالغون فى الحفاوة به ويقبضون فى وجهه جميع الأبواب . ويدراون عنه جميع المخاطر .

شهادة أجنى خال من الغرض

وقد عثرنا فى كتاب طبع فى « روما » سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) عنوانه : « الدولة الحبشية ، وكنيستها » فنقلنا منه النبذة الآتية ، وهى :

« ان مزاوله المهام العسكرية ، هى وقف على الاحباش المسيحيين ، ويحظر أشد الحظر على غيرهم ، القيام بها . بدعوى انهم أحط عنصرها ودمأ منهم »

المسيحي ، والمسلم ، أمام القضاء

ثم قال المؤلف : « ويكفي للدلالة على ذلك ، ان تأتي برهانين ، واضحين ،
فاذا ماذهب المسلم ، والمسيحي ، ليتقاضيا ، أمام قاض نصراني ، قل أن يعامل
المسلم ، في تلك الظروف ، بما يعامل به خصمه المسيحي ، أو بكلمة أصح ،
ندر أن يعامل المسلم ، بما يقتضيه العدل ، والانصاف ، وماذاك إلا لانه
قد رسخ في أذهان الجميع ، الاعتقاد ، بأن المسلم هو أبعد عن تلك الجبله
التي تيسح له أن يكون هو وخصمه على قدم المساواة أمام القانون

أما ذلك القاضى ، الذى بيده الحل ، والربط ، فلا يدل مظهره فى تلك
القضية ، الاعلى اقتناعه ، بوجوب ادانة الرجل المسلم ، قبل استماع مايقوله ،
دفاعا عن نفسه .

ولأثم الرؤساء ، والحكام ، فى المواسم

ثم قال : « وهناك برهان آخر ، يتجلى فيه التعصب الطائفى الممقوت ،
باجل مظاهره ، وهو أنه : فى الاعياد الكبيرة ، السنوية ، قد جرت العادة ،
أن يقيم حاكم كل اقليم ، الولاثم الفخمة ، التى تذبح فيها العجول السمينه ،
وتقدم لحومها للآهالى ، والجنود ، انما يختص بها المسيحيون فقط . فيؤثرهم
الحاكم ، ويختصهم بجزيل العطاء ، وجليل النعم .

أما نصيب المسلمين من هذا كله ، فهو الضن بالخير ، والامساك عن المعروف ، بكل معانيهما - الى أن قال : « ومجمل القول أن مسلمي الحبشة عموما ، وبنوع خاص ، من كان منهم يقيم في أوساط مسيحية ، هم في درجة من الاضطهاد ، والظلم ، والاستبداد ، بحيث لم يبق لهم إلا النذر القليل ، من الحقوق المدنية . وخصوصا ، ما كان منها متعلقا بامتلاك الأراضي ، أو وظائف الحكومة » اهـ

هذه شهادة أجنبي نسجلها عن حال المسلمين ، الذين يعيشون في الاقاليم الحبشية ، البحتة ، والذين هم فيها اقلية وطنية
أما في المقاطعات الواقعة على أطراف الحبشة ، والآهلة بمسلمي «أوجادين» الصوماليين ، و « دناكل اوسه » فإن حال المسلمين فيها ، تكاد تكون اسوأ ، واتعس بكثير مما تقدم .

تحصيل الضرائب من المسلمين

نعم ان هؤلاء المسلمين ، بعيدون عن الاحتكاك بالحكام المسيحيين ، وعن السلطات المركزية .

ولكن ينالهم العسف بشكله المريع ، عندما تصول الحكومة في تلك المقاطعات ، فتطلق الاعنة ، لجنودها ، يعشون بمرافق سكانها ، المسلمين ، المسلمين ، ويصبون عليهم أنواع الجور ، في تحصيل الضرائب ، وفرض المغارم الشاذة

الممالك التي اغتصبتها الحبشة من المسلمين

أما تلك المقاطعات التي أخذتها الحبشة ، من المسلمين ، فهي تحت رحم الجنود الاحباش : الموكل اليهم أمر حراستها . وهي ذات نظام جائر يسمى « الجبار » ومعناه تحصيل الضرائب المسماة « جبر »

فالأسر التي تقطن المقاطعات المشار إليها ، قد دُونت اسمائها في سجلات خاصة ، ووزعت على الجنود الاحباش ، لتقوم بخدمتهم

هذه الأسر المنكودة الحظ ، ملزمة بأن تقوم بكل ما يحتاج اليه هؤلاء الجنود ، في حياتهم ، هم ومن يعولون . أى أنها تقوم بحرث الاراضى وزرعها ، وتربية المواشى ، لحساب أسيادها الجنود . ولا يجوز لها أن تراول من الأعمال الا ما يوافق رغبتهم ، كما أنه محظور قطعيا على افراد هذه الأسر البائسة ، أن يفروا من الا ما كن التي يعيشون فيها ، أو أن يتركوا خدمة من كلفوا بخدمته من الجنود . واذا فر أحدهم ، ولم يعثر عليه . وجب على أهله أن يأتوا بمن يقوم مقامه ، فى الخدمة الملزم بها .

الجيش الخاصة ، ضمن الجيش العام

جاء فى جريدة « الاهرام » الغراء فى العدد الصادر فى يوم الاثنين ٨ شعبان سنة ١٣٥٤ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥) بهذا العنوان تلغراف من مراسلها الخاص فى « اديس ابابا » هذا نصه :

« وهناك ظاهرة أخرى مدهشة ، وهى الجيوش الخاصة ، ضمن الجيش العام . مثال ذلك - بين الخمسة والعشرين ألف مقاتل من رجال القبائل المعسكرة ، خارج « اديس ابابا » مئات من زعماء الاقطاعيات ، ولكل منهم جيشه الخاص ، وأتباعه ، وعبيده »

هذا التلغراف يبين لنا حقيقة الحال ، وهى أن الأسر الموزعة هى وأراضيها على الجنود تقوم معهم عند نشوب القتال بصفاتها جنود خاصة ، لحماية سيدها - مثال ذلك - مسلمو « لمو » يلتحقون بفرقة تسمى « الوروارى » أى رماة الأسهم . ومسلمو « جالا اروسى » يلتحقون بحملة البنادق ، وهم « الاى طابنجه اياج » وقس على ذلك

وما تقدم نستخلص أن سكان الأقاليم ، التى انتزعتها الحبشة ، من المسلمين والذين يبلغ عددهم أكثر من نصف السكان فى هذه الايام . هم فى حالة يرثى لها من الظلم ، تعيد لنا ذكرى حالة عبيد السخرة فى القرون الوسطى ، إن لم تكن أسوأ منها .

تقسيم سكان الحبشة فى نظر رحالة السويبرى

لقد قسم سكان الحبشة الرحالة السويبرى « الدكتور أجورج مونتندن Gorge Montandon » فى بحثه القيم حول النخاسة فى الحبشة ، الذى قدمه إلى جامعة الأمم عام ١٣٤٢ (١٩٢٣ م) فقد قال فى الصفحة ١٤ منه ما يأتى تعريبه :

« ان موظفى الحكومة الكسالى ، وغـيرهم ، من الجنود ، هم عالة على الصوماليين ، والدناكل ، وأهل « هرر » وخصوصا على أهالى « جالا » فانهم يستخدمون العبيد المقيمين فى « كفا » و « جما » و « ميجى » وهم من الفصيلة الزنجية » .

ثم قسم فى الصفحة ٢٨ من بحثه المذكور سكان الحبشة إلى ٤ أقسام كما يأتى :

أولا — الاحرار (وهم الأحباش ، والاحريون)

ثانيا — أهل الغرامة (وهم الدناكل ، والصوماليون)

ثالثا — المقهورين ، أو خدام السخرة ، وهم « الجالا » والشعوب الاخرى

رابعا — العبيد ، وهم زنوج سانغلا

فهل رأيت أو سمعت بأعجب من هذا التقسيم ، العجيب

نقص السكان فى المدن الاسلامية

من البديهي ان البلاد التى تكون غاصة بسكانها ، بسبب الرخاء ، والدعة ، يتناقص عدد أهلها ، إذا دهموا بأى نوع . من أنواع الجور .

وقد استطاع أحد الأطباء الغربيين أن يزور بلاد الحبشة ، ويقم فى غربها مدة ثلاث سنوات .

هذا الرجل تمكن فى سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) من كتابة نبذة مدهشة ،

عن أحوال تلك البلاد، فبعد أن تكلم بأسباب عن ثروتها الطبيعية، وخيرها العميم قال: « ان بلاداً كالحبشة . أفاضت عليها الطبيعة من خيراتها الغذائية الوفيرة . كان يجب أن تكون أهلة بالسكان، ورافلة في أثواب الغنى والرخاء، اذ من المعلوم أن كثرة السكان دليل على جودة المكان، إلا أننا مع مزيد الأسف، نجد كثيراً من المناطق المشهورة بجودة جوها ووفرة خيرها، وغنائها، تكاد تكون، مقفرة من آثار العمران .

أما الاقليم الوحيد الذي كان يتباهى بعدد سكانه، فهو اقليم «جماأ باجفار» لكنه سرعان ما امتدت اليه أيدي الظالمين، وعصابات الغزو، من أهالي « احرا » . وسوف لا ترفع أيديها عنه، حتى يصيبه من الدمار، ما أصاب سائر الأقاليم، التي أمست أثراً بعد عين .

ثم قال : اجل . إذا ألقينا نظره إلى الفترة التي تبتدىء بدخول المبشر « مساوى » إلى تلك الأقاليم، ونشره تعاليم « الانجيل » فيها وارتداد الرحالة « بوتيجو Bottego » لتلك المناطق لتؤكد لدينا صحة مسألة نقص السكان، في تلك الأقاليم .

ثم قال « وهناك في الحبشة اقليم واسع الأرجاء تكسوه الخضرة الدائمة، لما هو عليه من خصب التربة، وسرعة النماء . فلا تجد فيه بقعة، الا وهى أهلة بالسكان، ولقد كان سكان المنطقة الواقعة بين بحيرة الملكة « مرغيتا » ونهر « ادمو بوتاغو » في السكثرة، بحيث لم يكن من السهل على بعثة « بوتاغو » أن تحتاز تلك المنطقة، المكتظة بالمساكن المنتشرة فيها .

هذا وقد أحصى « مسايا » Messiya « سكان اقليم » كفا « وحده فوجدها لا تقل عن « المليون » من الأنفس ، بينما لا يزيد عدد سكانه ، في أيامنا ، الحاضرة ، عن ٥٠ ألفا

وعلى هذه النسبة نقيس مقاطعات « قيرة » و « غما » و « غوما » و « اناريا » وغيرها ، التي كانت آهلة ، بالعدد الكثير من السكان . اهـ

ومحال ان يعزى هذا النقص العظيم ، في السكان ، الى عوامل أخرى غير الحروب ، والغزوات التي كان يثيرها ملوك الحبشة ، على المسلمين « فهم كالذين قال الله فيهم » يَرْبُونَ يُؤْتُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ^(١) لأنهم لو تركوا هذه البلاد ، الممتلئة من كنوز الخير ، لأهلها المسلمين ، لبقيت عامرة ، تفيض عليهم بالخيرات ، والبركات ، ولكنهم لشدة تعصبهم ، لم يحل لهم إلّا خرابها .

ويمكننا ان نقول : ان هذه البلاد ظلت عامرة ، الى ان بدأ « منليك » يشن الغارة عليها ، منذ أربعين سنة ، بجنوده يقتلون من يعارضهم ، ويغنمون ما يجدونه ، من خير ، ويسوقون النساء ، والرجال ، والأطفال ، عبيداً وقد قلده أكثر الرؤس الأحباش الذين كانوا يأتون حكاما ، على تلك المقاطعات الجنوبية ، في شن الغارة عليها ، وسلب أهلها ، يذيقونهم أمر العذاب ، ويكلفونهم فوق ما يطيقون ، من ابتزاز الأموال ، حتى لم يبق من هؤلاء السكان ، التعساء ، إلا جماعات ، عمها البؤس بعد أن نجت من الغزاة

الظالمين، أهالى «شوى» واتخذت مساكنها، فى كهوف الجبال، والغابات
تلقأ اليها، متى شعرت بأذى خطر.

وقد انتهى الحال، فى تلك المقاطعات، الى القضاء على الحياة الزراعية
تماما، فتقاص ظلمها، عن تلك الأقاليم الخصبة، وتحولت أرضها، الى
احراج، وغابات

شهادة حبشى وثنى

ومما هو جدير بالذكر، ماقاله كاتب حبشى، يدعى «ج. ف. افيرك
Afework» فى كتابه المسمى، دليل السائح فى الحبشة، وضعه باللغة الفرنسية
وطبعه سنة ١٩٠٨ فى «روما» وجعله على طريقة السؤال، والجواب.
ونحن ننقل بعض شذرات، تتعلق بمعاملة الأحباش، للفلاحين المسيحيين،
ذكرها المؤلف، ليدل بها على سوء المعاملة؛ التى يعامل بها قومه الوثنيون،
قال :

سه — قل لى أخيرا، هل الرعايا «جبار» فى الحبشة هم حقيقة عبيد
«باريا» ؟

ح — أن حالة هؤلاء الاقوام؛ لاسوأ بكثير؛ من حالة العبيد؛ لأن هؤلاء
يشتغلون لحساب أسيادهم؛ الذين يعطفون عليهم؛ ويقدمون لهم الطعام
والكسوة؛ بينما الرعايا «جبار» محرمون من هذا كله؛ فهم يعملون؛
ليلا ونهاراً؛ لحساب أسيادهم؛ ويقدمون لهم الغذاء؛ من عرق جباههم

سه — كيف يعامل الحكام المسيحيون الأحباش ، سكان اقاليم « غاللا »
ح — إذا كان الرعايا من المسيحيين ، يعاملون تلك المعاملة ، القاسية ،
البربرية ، وهم اخوان الأحباش بالدين ، فكيف تكون معاملتهم
للوثنين التعيسين ؟ اه

نقول : أن حالة « غاللا » المسلمين ، لا تمتاز بشئ عن حالة وثني « غاللا »
التي ذكرها الكاتب المذكور .

ويظهر لنا ، من كل ما قدمناه ، ان الحق على المسلمين ، لا يزال كامناً ،
في صدور الأحباش ، في هذه الأيام ، كما كان في الأيام السالفة ، حتى أنهم
لا يأكلون من ذبيحة المسلم ، ويحتهدون في أن تكون حالتهم ، وهيتاتهم ،
ممتازة عن المسلمين . كما مر لنا في ذكر « الشريعة الزرقاء »

ومن أسباب التباعد ، والجفاء بين المسيحيين . والمسلمين ، أن المسيحيين
يحرصون الحرص كله على أن يكون في أعمالهم ، وحركاتهم ما يميزهم ،
عن المسلمين ، كأن يعلقون مثلاً في أعناقهم « عقداً » خاصاً ، يسمى في
لغتهم « الأخرية . ماتب »

نعم ان نفور الحبشى المسيحي ، من معايشة الحبشى المسلم ، وابتعاده عنه
يعد خيراً عظيماً للمسلمين ، لو أنه كان خالياً من الظلم ، والتعسف ، لأن
حالة الأحباش المسيحيين . ومعيشتهم مصحوبة بشئ من القذارة .
والخطرات الصحية .

فقد ذكر صاحب « الرحلة الحبشية » فى الصفحة ١٨٢ عبارة تدل على ذلك . ننقلها بحروفها . قال :

« الاحباش المسيحيون — ما عدا أكابرهم — لا يغسلون أجسامهم ولا ملابسهم ، فلذلك . لا يصعب على الانسان ، بعد مخالطتهم ، برهة قليلة أن يفرق بين المسيحى ، والمسلم ، لأن المسلم ، يجدد وضوءه ، كل يوم ، جملة مرات . فتظهر آثار ذلك عليه .

والامراض المعدية القتالة . مثل « الزهرى » وغيره . منتشرة ، بين عوام « الأحريرين » المسيحيين . لكثرة اختلاط النساء بالرجال . وأما المسلمون فقلما تنشر فيهم . هذه الامراض » اهـ

الجمعيات الخيرية الاسلامية ، بالحبشة

أسس المسلمون فى الحبشة ، كثيراً من الجمعيات الخيرية « الاسلامية » لتعليم أبناء المسلمين ، وتشقيفهم ، ومع أن الحكومة ، لاتمدّها باى عناية ، أو إعانة ، فانها جاءت باعمال عظيمة ، وهى السبب فى إرسال « البعثة الأزهرية » الى الحبشة ، كنادى الاتفاق الاسلامى ، والجمعية الوطنية ، وجمعية التعاون ، وجمعية الشبان المسلمين .

وقد كتب رئيسها الى جريدة « روز اليوسف » الغراء ثناء على أعضاء البعثة الأزهرية ، درج فى عددها المؤرخ ١٢١ أكتوبر سنة ١٩٣٥ . ويتنظر أن تكون هذه الجمعيات ، المؤلفة ، من خيار المسلمين ، فى الحبشة ، سبباً فى معادة أولئك المخلصين فى الآتى إن شاء الله تعالى

مرتبات قضاة الاسلام ، وأئمة المساجد ، في الحبشة

أما مرتبات خدمة المساجد ، وأئمتها ، في الحبشة ، وكذلك القضاة ، فيقوم بها الأهلون ، من أهوالهم الخاصة : بدون أن تدمهم الحكومة بشيء ما .

المسلمون في المناطق المتاخمة للحبشة

يليق بنا ، وقد انتهينا من ذكر حال المسلمين ، في المملكة الحبشية ، ان نذكر بصفة عامة ، حال المسلمين المقيمين ، في المناطق المتاخمة للحبشة ، وفاء للموضوع ، فنقول :

(١) الاريترة

ان المسلمين في شمال الاريترة الايطالية ، وشرقيها ، يؤلفون نصف سكان تلك المنطقة ، على وجه التقريب

وقد دل إحصاء سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) على أن عدد المسلمين هناك يبلغ ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ، من مجموع السكان البالغ عددهم ٦١٧,٠٠٠ نفس وهؤلاء المسلمون كلهم سنيون ، بين أحناف ، وشافعية ، ومالكية ولهم محاكم شرعية ، وعلى رأسها القضاة الشرعيون ، يفصلون فيما يعرض عليهم

من القضايا الدينية والأحوال الشخصية . كما أن لهم الحق أيضا في الفصل في القضايا « المدنية » حتى أن بعضهم تنسم فيها المناصب العالية

وكذلك نجد في « تسنّاي » مركزا للطريقة المرغنية ، التي هي فرع من الطريقة المرغنية السودانية ، المصرية .

ولا يخفى أن لهذه الطريقة ، وغيرها ، القدر المعلن في جمع كلمة المسلمين ، وتخليقهم بالفضائل النفيسة

وإذا أمعنا النظر في الأمر ، وجدنا أن المسلمين في هذه المستعمرة الإيطالية ، قد أحرزوا حظاً وافراً ، من التقدم ، عما كانوا عليه في الجيل الماضي .

وقد قارن المستشرق الألماني ، المشهور ، « لتمان » في مقال له ، نشرته مجلة « در اسلام » Der Islam عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) قابل فيه بين حالة المسلمين ، وتعدادهم سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) بموجب احصاء « مونزينجر » Munzinger وحالتهم وعددهم في سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) بموجب الاحصاء الإيطالي . فثبت لديه من هذه المقارنة ، أن هناك زيادة محسوسة ، في عددهم ، وتقدما عظيما ، في شؤونهم . الاجتماعية ، كل هذا كان في تلك الفترة القصيرة

فاذا قيل إن هذا الفرق لم ينتج من كثرة المواليد ، لقرب ما بين التعدادين . نقول : ان الأمن ، والدعة ، ، من أكبر دواعي اقبال الناس ،

على سكنى البلاد التى يوجدان فيها ، كما قال شاعرنا « المتنبى »
« وكل مكان ينبت العز طيب »

وهناك نجد أيضا عدة قبائل تتكلم اللغة الأمازيغية ، مثل « الماديا » و
« منسا » وبعض من قبيلة « بوغس » قد اعتنقت الاسلام ، بعد ان كانت
على النصرانية

وما ذاك الا لاحتلال المصريين ، للسودان ، ورسوخ أقدامهم فيه ،
حيث قامت مدينة « كسلا » سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ثم احتلهم لمدينة
« مصوع » واقامتهم هناك حوالى عشرين سنة ، أى من سنة ١٢٨١ الى
سنة ١٣٠١ هـ (١٨٦٤ - ١٨٨٤ م)

ولانزال نرى الى الآن حركة متواصلة ، بين أهالى « باريا » و « كنامة »
الوثنيين ، للدخول فى الاسلام أفواجا



وقد كتب المستر « يوناى يارسون » yonas ywarson السويدي
مقالا قيما ، فى مجلة « العالم الاسلامى » التى تصدر فى « نيويورك » وذلك
عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) نقتطف منه ما يأتى :

« ما كادت بلاد « الاريتره » تقع فى يدى الطليان ، وتنفصل عن
أجزاء الحبشة ، حتى تنفس سكانها المسلمون ، الصعداء ، وتمتعوا بكامل
حريتهم ، الدينية ، وهم يؤلفون أكثر من نصف مجموع السكان ، ومحاطون

بعضاية خاصة ، من قبل الحكومة الايطالية ، هناك ، وتكرم رجال الدين ،
وتقدم لهم الاعانات ، لبناء المساجد ، واقامة المدارس ، والملاجىء ، وهم
والمسيحيون ، فى الحقوق الاجتماعية ، على أتم المساواة » اهـ

وفى صيف السنة الماضية زار أحد المسلمين ، البارزين ، مدينتى
« اسمره » و « مصوع » ونشر فى مجلة « الفتح » التى تصدر فى القاهرة ، فى
عددتها الصادر بتاريخ ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٨ م) مقالا مهما ،
أظهر فيه إعجابه ، بما شاهده ، فى تلك الاصقاع ، من نظام ، وحسن إدارة
وملاؤه من الثناء على الحكومة ، لما تبذله من العناية ، وحسن الكياسة ،
مع السكان المسلمين ، الذين يتمتعون ، بكامل حريتهم « الدينية »
« ثانيا » يعيش فى السودان « المصرى الأنكليزى » عدد عظيم جدا من
مسلمى تلك المناطق ، وخصوصا فى الناحية الغربية من الحبشة .

وقد أشرنا فيما سبق إلى ما كان للسودان المصرى ، من التأثير ، فى الدعاية
الاسلامية ، ونشر الاسلام ، حتى بين الأحباش أنفسهم
ولا يخفى أن مجموع سكان السودان يبلغ ستة ملايين ، بينهم ما يزيد
عن النصف « مسلمون . سنيون » بين مالكية ، وشافعية .

وهناك طرائق الصوفية ، المتعددة ، من « تيجانية » و « قادرية » و
« سمانيه » و « خلوتية » و « شاذلية » و « مرغية » وهى تؤلف جيشا
جرارا ، من أهل الصلاح ، والتقوى ، لمحاربة الجهل ، والاجرام .
وهناك العلماء الإعلام ، والأدباء ، والشعراء .

والمسلمين « المحاكم الشرعية » المنتشرة ، في جميع أنحاء السودان وقاضى قضائهم يعين من مصر ، ويقضى فى شؤونهم الدينية ، وأحوالهم الشخصية باوسع معانى العدل .

والمدارس الاسلامية ، مزدحمة بالطلاب ، ومنهم فى « الجامع الأزهر الشريف » كثيرون يقصدونه ، لاتمام الدروس الدينية ، العالية

وفى القلابات ، وهو اقليم قديم ، من « متمه » على حدود الحبشة نجد اسراً عديدة ، من أصل حبشى ، هاجرت من وطنها هرباً من الاضطهادات التى أثارها « النجاشيان ، تاودروس ، ويوحانس »

« ثالثاً » وفى بلاد « كنيا » المتاخمة للحبشة الغربية ، لمسافة بعيدة ، يعيش أكثر من مليون مسلم سنى أى نصف مجموع السكان وهم على مذهب الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه .

وأهم مراكز المسلمين فيها مدينة « ممبازا » التى نالت شهرة واسعة ، فى تلك الانحاء ، لأنها كانت من أهم العوامل فى نشر الاسلام وبثه فى كل « افريقيا الشرقية » وكانت ذات صلة ، متينة ، مع سكان جنوبى « جزيرة العرب » و « الخليج الفارسى » و « الهند »

« رابعاً » المسلمون فى « الصومال الايطالى » يؤلفون الأكتريية الساحقة من سكانه ؛ وبلغ عددهم فى احصاء سنة ١٩٣١ م ١٠٠٩١٥٧ نفساً . وكلهم سنيون ، يتعبدون على مذهب « الامام الشافعى » ولهم محكمة شرعية ، يرأسها قضاة عادلون . والطرق الصوفية فيها منتشرة ، ويسمونها « الجماعة »

أهمها « القادرية » و « الأحمدية » و « الصالحية » و « الرافعية » ولهذه الطرق ، اليد الطولى فى نشر الاسلام ، وتحسين الشؤون الاجتماعية ، بين الشعب « خامسا » ونجد الصـومال الانكليزى ، الذى استولت عليه « بريطانيا العظمى » سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٤ م) ان فيه من المسلمين ٣٠٠.٠٠٠ ألف نسمة ، وكلهم سنيون ، يتعبدون أيضا على مذهب « ابن دريس الشافعى » وهم متمتعون باقامة الشعائر الدينية ، ولهم محاكم شرعية ، وقضاة عادلون

والطريقتان « القادرية » و « الخلوتية » منتشرتان بينهما ، وعلى جانب عظيم ، من الازدهار ، وحقوقهم مع الطوائف الأخرى ، قائمة على المساواة والحكومة الانكليزية . تحترم شعائرهم الدينية كما قدمنا وتساعدهم على نشر العلم ، والدين ، لأنها وجدت فى تقدمهم العلمى ، واطلاق حريتهم الدينية ، خير معاون لها على رفاهية البلاد ، ونشر أجنحة الأمان .

ولا ننس أن مدينة « زيلع » كانت من أهم المراكز الحربية للمسلمين ضد طغيان الحبشة

وكل منا يذكر الثورة الشديدة التى دار رحاها فى تلك الاصقاع من سنة ١٣١٧ - ١٣٣٨ سنة هـ (١٨٩٩ - ١٩٢٠ م) وكان القائم بزعامتها محمد بن عبد الله حسان المهدي ، المنحدر من احدى القبائل الصومالية فى « أوجادين » الحبشية

« سادسا » وفى تلك الأرض المحيطة بمدينة « جيبوتى » التى هى الصومال

الفرنسي نجد ٢٠٠١٠٠ نفس من المسلمين ، وكلهم سنيون ، وعلى مذهب الامام الشافعي .

والطريقة القادرية هناك ، تفوق غيرها من الطرق الصوفية ، ولها نفوذ يذكر ، في نفس أبناء الشعب « الصومالي » الذين تربطهم باليمن ، ومسلمى سلطنة « أوسة » و « جلاولو » روابط الصداقة المتينة والعلاقات الحسنة ، ومن مدينة « جيبوتي » يمتد خط السكة الحديد ، إلى داخل الحبشة حتى يصل الى عاصمتها « اديس ابابا » مارا في « ديرة داوه »

هذه هي البلاد المجاورة للحبشة ، والتي تحيط بها من جميع نواحيها . ويقيم فيها المسلمون تحت نفوذ « الانكليز ، والفرنساوين ، والايطالين » بلغت فيها الطوائف الاسلامية ، منتهى حريتها الدينية ، وأصبحت تعيش مع باقي السكان ، على أتم قواعد العدل ، والمساواة .

ولاء المسلمين ، لحكومة الحبشة ، واخلاصهم

ليس في العالم طائفة ، تتناسى مايقع عليها ، من الجور ، وتغض الطرف ، عن الاساءة ، مثل مسلمى الحبشة ، فانهم مع مايلاقونه ، من عسف الحكام . الاحباش ، وجور الاحكام ، يقفون الى جانب الحكومة ، عند شدتها ، ناسين ما فعلته معهم ، وما زالت تفعله .

والدليل على ذلك ماورد في جريدة « المقطم » الغراء ، في العدد الصادر في ٨ نوفمبر سنة ١٩٣٥ من أن ١٢٠ زعيما من زعماء المسلمين ، رفعوا

للإمبراطور « هيلاسيلاس » عريضة ، يعربون فيها . عن ولائهم له ، قاطعين على أنفسهم عهداً ، بأن ينصروا القضية الحبشية ، ويدافعوا عنها بحياتهم ، وأموالهم .

وجاء في مجلة « المصور » في ملحق الحرب الصادر في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ما يأتي : « وكان المسلمون ، والمسيحيون ، في الحبشة ، يعيشون مفترقين ، عن بعضهم . لم تكن بينهم عداوة ، ولا حزازات (١) ، ولستهم كانوا يؤثرون عدم الاندماج ، في بعضهم البعض ، حتى قامت « إيطاليا » تهدد الحبشة ، بالغزو ، والفناء . فأسرع زعماء القبائل الإسلامية ، وكبار تجار المسلمين ، وأعيان « الالوجادين » و « هرر » و « الصومال » يبايعون الإمبراطور ، بالطاعة ، والتفاني ، في الدفاع عن البلاد .

وكان يوم الأحد ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٥ يوماً مشهوداً ، في تاريخ الحبشة ، فان أئمة المسلمين ، في يوم الجمعة السابق لذلك اليوم ، بعد أن صلوا بالناس ، صلاة الجمعة ، ألحوا عليهم بأن يذهبوا ، إلى « كاتدرائية مار جرجس » وأن يحضروا قداس الشفاعة ، في يوم ١٨ أغسطس وأقيم القداس ، وإذا بالمسلمين ، يفدون على الكنيسة ، من كل مكان ، ويشترون في « القداس » ويظهرون القومية ، التي اكتسحت كل الفوارق الدينية ، في ساعة الخطر . اهـ

أقول : انظر الى شمع هذه الطائفة المباركة ، وفضلها ، وكيف نسيت

(١) لعل الكاتب يريد أنه لم يصل الى علمه شيء من ذلك ، وإلا فالواقع

ينكر مايقوله .

اسماء آت ١٣٠٠ سنة تقريبا ، احتملتها من الحبشة ، وحكوماتها المسيطرة ، على البلاد ، وتكافتت معهم ، للدفاع عنهم ، تبذل في معوتهم النفوس ، والأموال فياترى : هل تحفظ لهم حكومة الحبشة هذا الجميل ، وتساوى بينهم ، وبين شعبها في العدل ، والانصاف ، من الآن وفيما بعد ؟

المسلمون هم سور المملكة الحبشية

ان الشعب الحبشى المسيطر على الهضبة ، لو أن لديه شىء من الانصاف لأعطى المسلمين ، الأوج الأعلى ، فى المملكة الحبشية . لأن المسلمين ، هم السور الأعظم المنيع للبلاد ، وعليهم تقع الصدمة الأولى من كل مغير وقاتح . فالدنا كل من جهة الشمال الشرقى - وهم من أقوى المقاتلين فى الحبشة - كلهم مسلمون . وصومال « الأوجادين » فى الشرق ، والجنوب الشرقى ، كلهم مسلمون . و « بوران » و « سداما » و « كافا » فى الجنوب ، والجنوب الغربى ، كلهم مسلمون . و « هرر » كلهم مسلمون ، وقبائل بنى عامر على حدود السودان ، كلهم مسلمون

وجميع هؤلاء المسلمين ، الأقوياء ، الأشداء ، يحيطون بالحبشة ، احاطة السوار ، بالمعصم ، ويطوقونها بقوتهم من جميع جهاتها . فلو لم يكونوا من أشد الناس ولاء ، واخلاصا لها لتألبوا عليها ، مع كل عدو ، يغزوها ، تشفيا وانتقاما مما تفعله معهم . ولكنهم لم يكونوا يوماً مأخائنين ، بل نراهم يقابلون دونهما الصدمة الأولى ، بنفوس مطمئنة ، وقلوب سليمة .

أقوال الجرائد الاسلامية ، عن مسلمى الحبشة

من الناس من لا يعرف حياة المسلمين ، فى الحبشة . بل قد لا يتصور واحد من عالم هذا العصر ، ما يلاقونه من الجور ، وسوء المعاملة . فى بلادهم فيها أكثرية عظيمة ، ولهم فيها الأحقاب الطويلة ، وهم عماد سعادتها الاقتصادية .

لهذا حينما شبت الحرب ، بين الحبشة ، واليطيان ، قامت الصحف العربية - لاسيما - الاسلامية ، تنادى : « ان اعينوا الحبشة »

أما الصحف غير الاسلامية ، فاننا ندعها ، وشأنها ، وترك لها حرية الرأى ، لأنها لها نهيتها الحسنة ، فى الدعوى ، لمساعدة شعب ، معتدى عليه ، ونشاركتها فى نداءها ، ولأنها تؤدى هذه المهمة عينها ، فيما لو كانت الحبشة قامت بخيلها ، ورجلها ، تحارب دولة تجاورها ، أضعف منها .

وأما الصحف الاسلامية ، فاننا ، وان كنا لا ننكر عليها مثل هذا النداء الانسانى ، إلا اننا نكلفها أمرا واحدا ، نكتفى به عن إطالة الأخذ ، والرد وأبحاث فيما لا طائل تحته

والأمر الذى نطلبه منها هو أن تأتى بنسخ من القوانين السارية فى جميع ممالك العالم ، ثم نرجو من صاحب الجلالة « هيلاسى » امبراطور الحبشة أن يختار قانونا منها ، ويصدر أمره بمعاملة رعيته ، على ما يقتضيه ، وأن لا يفرق بين المسلمين ، وغير المسلمين ، فى تطبيقه

نقول ذلك ، لأن كل القوانين السارية ، فى ممالك العالم ، تشتمل على ما يكفل حقوق الافراد ، بين مختلف رعاياها .

ولكن المملكة الحبشية ليس فيها مثل هذا القانون ، وارشادها إلى عمل كهذا ، يعد من أعظم المساعدات التى تقدم اليها ، لأنها تصير باتباعها دولة ذات شأن وشوكة

أقوال جريدة فلسطينية

وقد شذ عن زملائه فى هذا الموضوع صاحب جريدة « الجامعة العربية » التى تصدر فى « القدس » وكتب مقالا نفيسا ، يندب فيه حظ بلاده ، ويعجب من طلب الجرائد العربية الانتصار للقضية الحبشية ، ننقله بحروفه ، لما ورد فيه خاصا ، بشأن المسلمين فى الحبشة .

قال فى العدد الصادر فى ٣١ مارس سنة ١٩٣٥ ما نصه :

« لم يوجد غير مسلمى الأندلس ، من أصابهم العذاب الذى انصب مدة مئات من السنين ، على مسلمى الحبشة ، وليس ذلك شيئا مضى وغاب ، فى ظلمات التاريخ ، بل فى زمان قريب من هذا الزمن ، أى منذ ٦٠ أو ٧٠ سنة ، صدرت أوامر الملك « يوحنا » نجاشى الحبشة باكرام المسلمين اجمع على التنصر ، وتنصروا قاطبة فى الظاهر ، ورحل منهم قسم كبير ، وثار الذين قدروا على الثورة ، ولم تنته هذه الفظائع الا بموت « يوحنا » فعندها رجع المسلمون الى الاسلام ، ولكن بقى منهم جانب عظيم ، على النصرانية .

والذى عندى من المعلومات عن الحبشة ، بقلم اناس من الثقة الأجاش ،
ان مقاطعة « يلو » التى هى مركز الاسلام هناك ، أصبح بها عشرة فى المئة
مسيحيين ، بعد ان كانوا مسلمين ، بأجمعهم ، وهذا بضغط الحكومة .

وعدا ذلك فمن المعلوم أن مسلمى الحبشة وهم ستة ملايين لا تعدهم
حكومة الحبشة ، كأنهم موجودون ، ولا يوجد فى الحكومة الحبشية مسلمون
الا ماندر ، وفى وظائف تافهة جدا .

فالدولة التى تعامل المسلمين ، وهم نصف رعاياها ، بهذه المعاملة ،
لا تستحق كل هذا الاندفاع ، فى الدفاع عنها ، من جانب اناس من المسلمين « اه
وكتب أيضا فى العدد الصادر فى ٤ ابريل سنة ١٩٣٥ مانصه :
« ان الحبشة أبعد جداً عن خطر الابتلاع منا نحن الذين فى أفواه
الحياتان .

ان العاقل ينبغى أن يتبصر بنفسه ، حينما يكون السيف فى رقبته ، فلا
يتعرض لما لا يعنيه ، وهو عاجز جد العجز عما يعنيه

انتا نحن على كل الأحوال ، وبدون موارد ، لا نرضى بإزالة استقلال
مملكة مستقلة ، كالحبشة ، ولا نوافق على مبدأ استعباد شعب لشعب ، لأننا
نحن واقعون فى هذه المصيبة ، فاذا كنا ننكر هذا المبدأ من أصله ، فليس
من المعقول ، ولا من المقبول ، أن نكون ممن يروج سياسة استيلاء
« ايطاليا » على الحبشة ، ولكننا فى الوقت نفسه نرى فرضا علينا تذكير
قومنا بالأمور الآتية ، لأنها حقائق ، والحق يعلو ، ولا يعلى عليه .

«الاول» : اننا من الضعف ، ومن الاحتياج الى عضد الدول الكبرى ، بحيث لا نقدر أن نعادي دولة ، كدولة « ايطاليا » واننا لو كنا نقدر أن نستعطف دولتي « فرنسا » و « انجلترا » لكان ذلك من أعظم الاماني ، ولكن مع الاسف ، منذ وضعت الحرب العامة أوزارها ، نحاول استعطف هاتين الدولتين ، حتى تكفيا عن أذى الأمة العربية ، ولا تريدان أن تسمعا لنا كلاماً ، فنحن في العداوة معهما من قبيل « مكره أخاك لا بطل » وفي أى وقت علمنا ان « انجلترا » تريد أن تقف في وجه المهاجرة الصهيونية ، وتمنعها منعاً أكيدا باتا - لا المنع المصنع الحالى - فاننا نذهب بانفسنا ، الى « لندن » ونأخذ معنا وفداً ، من جميع العرب ، حتى نقدم الشكر للحكومة البريطانية .

«الثانى»: ان الذى يكون فى موقفنا من خطر الابتلاع الاجنبى ، لا يجوز له أن يوزع مجهودات على الغير ، وان ينتصر لاناس هم أبعد الف مرة عن خطر الهلاك منه

الثالث : ليست الحكومة الحبشية هى التى يجب أن نغضب لاجلها ، كل هذا الغضب ، وهى التى منذ قرون تضطهد المسلمين ، الذين فى بلادها ، وتذيقهم الوان العذاب ، وتجبرهم على التنصر « اه

مقالته مجلة الفتح

ان مجلة الفتح التى تصدر فى القاهرة ، تعد من أجل المجالات الاسلامية وانها تكتب عن روية وبعد نظر

لذلك نرى أن لقولها قيمته العظيمة . واليك ماورد في عددها الصادر في ٢٤ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ هـ (٢٩ يناير سنة ١٩٣٥ م) ما نصه : « في الحبشة ثلاثة ملايين من المسلمين ، أو يزيدون ، ولكن لا نسمع لهم صوتا ولا نرى لهم أثرا في الحكومة الحبشية ، مع أنهم كانوا فيها ملوكا منذ قرون وقد قيل لنا أنهم أغنى الإحباش

اذن فما لهم لا يجمعون شملهم ، ويوحدون جبهتهم ، ويقومون بعمل يجعل الحكومة تعطيهم من الحقوق ما يتناسب مع عددهم وعملهم . » اهـ

كيف كان الأجدر بالحبشة أن تكون

كتب المستر « درلي Darly » في كتابه المسمى « العبيد وتجارة العاج » المطبوع في لندن . سنة ١٩٢٦ م كلمة أبدى فيها رأيه ، في المملكة الحبشية ، وكيف أنها لم تضع نفسها ، في المركز اللائق ، لدولة لها مثل شعوبها ، وأراضيها ، نقطف منها ما يأتي :

قال : « كان من اللائق بالحبشة ، أن تكون ، قلباً لأفريقيا الشمالية ، الشرقية ، وليس أُنْقى يتأتى لها ذلك ، إذا كانت الشرايين ، المعول عليها ، في تغذية سائر أعضاء الجسم ، خالية من عوامل الحياة ، فطرة منحلة ، فكيف تكون ، حال تلك الأعضاء ، التي أنهكتها سياسة الحكومة ، الحبشية ، القائمة في ارهاق السكان ، وابتادة العناصر العربية ، من الحبشة ، يقذف بهم ، في ظلمات الجهل ، والتأخر » اهـ

أقول : انما يقصد بالشرائين المسلمين ، المنتشرين في الحبشة انتشار الشرايين في الجسم ، لأن المسلمين هم ، أهل السكد ، والعمل ، في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وهم الوسيلة الفعالة ، لا يصلال التغذية ، إلى كافة أعضاء جسم الحبشة فاستنزاف دم هذه الشرايين ، ينتهى بها ، إلى الضعف الذى يعقبه الموت

الخلاصة

نستخلص مما كتبناه ما يأتى : —

(أولا) : ان العلاقات التاريخية ، بين المسلمين والاحباش ، كانت ولم تزل ، علاقات غير محمودة ، لأنها كناية عن سلسلة من الخصام ، محكمة الحلقات .

فمن بزوغ فجر القرن الثامن الهجرى ، إلى عهد قريب ، ونار الشقاق مستعرة بين الطرفين ، وقد وقع على المسلمين فيها ، شئ كثير ، من أنواع الظلم ، والاضطهاد ، لا يحسن الصبر عليه . فقد انتزعت منهم ، ممالكهم ، التى اسسوها ، بحزم سادتهم ، ودافعوا عنها ، بعزم قادتهم ، فقوضت عروشهم منها و سلبتهم حقوقها الشرعية ، الموروثة ، بعد أن خربتها ، بأيدي جيوشها ،

(ثانياً) — إن أكثر عدد من المسلمين ، يقيم فى مناطق تعد خارجة عن حدود الحبشة التاريخية فكان يجب أن يتمتع هذا الشعب بكامل حريته ، فى الدين والاقتصاد ، والادارة ، فيكون جارة شقيقة لها ، مثل حقوق جارتها وشقيقتها لا أن تعاملها معاملة المستعمرات المحتلة قوة واقتداراً

(ثالثاً) — أن الاكثريّة ، الساحقة ، من مسلمي الحبشة ، ليس لها بالاحباش الاصيلين . صلة مّا ، فالمسلمون الذين يختلفون ، عن الاحباش ؛ من حيث الدين ، يختلفون عنهم أيضاً ، في اللغة ، والعنصر ، والعادات ، وفيهم من أصبح على درجة ، جليّة ، من المدنيّة ، والثقافة ، بما لا يزال الشعب المسيطر عليهم محروماً منه

(رابعاً) — إن مسلمي الحبشة ، يقاسون الامرين ، على يد ، أسيادهم الاحباش وهم مكلفون ، باعالة جنود شوى ، واحرا ، وخدمتهم بدون أن تدمهم الحكومة . بالمساعدات التي ترفع عنهم الظلم والاذى ، وفداحة الضرائب

الامبراطور هيلاسيلاسى

للمسلمين بارقة أمل في جلالة الامبراطور « هيلاسيلاسى » في أن يكون النجاشي الثاني ، الذي يشملهم . بالعدل ويحميهم من جور شعبه . ويكون ذا عطف عليهم . كما فعل النجاشي الاول « اصحمة رضى الله عنه » مع آباؤهم المهاجرين الكرام . في بدء الاسلام .

أقول ذلك لما أشيع من أنه . على أثر زيارة جلالته لمقاطعة «هرر» أبدى استعدادة ، لتحسين حال سكانها ، المسلمين ، المساكين ، بتخفيف الضرائب ، التي أثقلت كواهلهم ، مع أخذهم بالعطف والرفق ، ووعدهم بتحسين حالتهم المادية ، والمعنوية ، وقد ظهر بهذه العاطفة بعد تنكره لهم فيما مضى ، وصرحت حكومته ، بأنه لا فرق بين الرعايا المسلمين ، والمسيحيين الاحباش ، أمام قوانين البلاد ، التي لا تنظر الى ما بينهم من الفوارق الدينية

على أن المقاصد الشريفة ، العادلة ، وهو جدير بمثلها . قد لا تتم الا في « اديس أبابا » مركز الحكومة ، ويصعب جدا ، أن تشر أى فائدة ، في غيرها من الاقاليم ، إذن الصعب محاولة تنفيذ عقلية الشعب الحبشى بمجرد الأمر أو أن يقبل ، أى حبشى مسيحي ، أن يتنازل من عليائه ، إلى المساواة بينه وبين المسلم ، الذى هو فى نظره أحد عبيده ،

وقد علمنا ، من مصادر يوثق بها ، أن كل رأس من رؤس الحبشة ، له التصرف المطلق ، فى احكامه ، على أهالى اقليمه ، وليس للأمبراطور ، عليه فى ادارة شؤونها ، شىء من السيطرة ، لا قليل ولا كثير ، ولا تربطه بامبراطوره ، الا دعوة الحرب ، ودفع القدر المعلوم من المال

والذى استنتجه من حال الحكومة الحبشية المسيحية مع رعاياها المسلمين أن الأحباش الذين تعودوا أن يعيشوا على كد كواهل سواهم ، يخافون ، من المسلمين الذين يماثلونهم عددا ، ويفوقونهم ، ذكاء ، ونشاطا ، اذا تمت بينهم وبينهم المساواة فى الحرية ، والمعاملة ، لا يمضى زمن طويل ، حتى يتفوق العنصر الاسلامى ، من جميع مرافقه ، ويتلاشى ، الشعب الحبشى الأصلى بين يديه ويصبح محكوما ، فى كل شىء ، بعد ان يكون هو الحاكم المسيطر

وهذا رأى يسود الأمة الحبشية من قديم ، ومحال ان ينزع ، من عقيدتها على ان التاريخ اوضح لنا ، باجلى المظاهر ، ان هذه الحكومة ، قد عجزت الاجيال التى مرت عليها ، عن أن تجعلها ، فى الدرجة التى يستحقها ، سكان هذه البلاد ، الخصبة ، من الرقى ، والعمران ، ولكن لنا من الآمال العظيمة ، التى يشاركنا فيها جميع مسلمى العالم . فى حكمة جلالة الامبراطور

الحالى ، وحسن رأيه ، أن يرد للمسلمين كل حقوقهم ، وأن يقابل جميلهم ،
وقد هبوا لمساعدته ، بالارواح ، والأموال ، فى هذه الأزيمة ، الضروس ،
بما يستحقون من الرعاية والعطف ، والله يجزى الشاكرين ،

واجب اللجنة العامة للدفاع عن « القضية الحبشية » نحو الاسلام

مما يجب علينا أن نستبشر به ، ونعده واسطة ذات أثر مفيد ، فى
تحسين حال المسلمين ، فى الحبشة ، هذه اللجنة المباركة التى قامت ، فى مصر ،
للدفاع عن « القضية الحبشية » وعلى رأسها الأمير الجليل ، نحر الأسرة
المحمدية العلوية ، صاحب السمو « عمر طوسون باشا » ويمده برعايتها
صاحب الغبطة « الانبا يونس » بطريرك الاقباط الأرثوذكس ، المصلح
القدير . وصاحب العزة الدكتور « عبد الحميد سعيد » رئيس جمعية الشبان
المسلمين ، بمصر ، ونائب اللجنة . ومن معهم من كبار الأمة المصرية - مسلمين
وأقباط - أن تجعل مهمتها بعد ذهاب هذه اللجنة المدلومة ، اقناع جلالة
الامبراطور « هيلاسيلاس » بان مصر القائمة على عنصرى . المسلمين ،
والأقباط ، تتمنى من صميم أفئدة أبنائها - حكومة ، وشعبا - فى أن يمد
للمسلمين فى الحبشة يد المعونة ، والمساعدة ، فى ترقية شؤونهم ، ويحافظ على
تنفيذ شعائرهم الدينية ، كما تقتضيا شريعتهم الغرام ، ويسوى بينهم بالعدل
أمام القانون ، ويسهل لهم كل سبيل يرون لهم فيها مصلحة نافعة ، وان يتخذ

من رجالهم « الاكفاء » لحكومته ، كما يتخذ من الاحباش المسيحيين ،
وأن يساعد جمعياتهم ، العلمية ، والدينية ، ويحميها من عبث الجاهلين
بذلك يكون قابل جميل اللجنة بمثله ، بل وبأحسن منه

الخاتمة

تم بحمد الله ، وحسن توفيقه ، هذا الكتاب ، الذي أوضحت فيه حال
الاسلام في « المملكة الحبشية » وكيف يعيش المسلمون هناك
وقد ألفته وأسعرت في اظهاره ، لأغتنم فرصة جعله وسيلة ، لتحسين
حال اخواننا في الدين ، مع اخوانهم في الجوار
هذا ولا أنسى بماقام به صهرى حضرة الأستاذ الاديب ، والباحثة المحقق
« أحمد سعيد البغدادى أفندى » من المعونة لى فى اظهار هذا الكتاب ،
الى الوجود ، بما أمدنى به فى كثير من أبوابه
كما أذكر بالشكر صديقى حضرة الأستاذ الكاتب القدير « بولس
مسعد » الذى ساعدنى فى الحصول على بعض الوثائق الافرنجية ، وترجمتها
جزاهما الله تعالى خيرا على هذه الخدمة التاريخية الجليلة

المؤلف
يوسف أحمد

(٢١ شعبان سنة ١٣٥٤ هـ) و (١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٥ م)

فهرست الكتاب

ص	الموضوع
٤	تمهيد
٦	علاقة الحبشة بالعرب
٧	احتلال الحبشة لليمن
١١	هجرة الصحابة إلى الحبشة
١٢	الهجرة الأولى
١٤	الهجرة الثانية
١٨	كيف كانت البطارقة تؤذى المهاجرين
٢٠	الاسلام في الحبشة من بعد الهجرة
٢١	أول سرية اسلامية للحبشة
	احتلال السواحل الحبشية اقتصاديا
٢٣	مناعة بلاد الحبشة
	انتشار الاسلام في الحبشة
٢٣	كيف وأين نشأت أول دولة اسلامية في الحبشة
٢٧	الرخاء في الممالك المذكورة
	نظام التوارث في عزوش هذه الممالك
٢٨	غموض تاريخ الاسلام في الحبشة قبل القرن الثامن
٣١	ماذا كانت تضمّر الحبشة للمسلمين
٣٢	الاسلام والحبشة في القرن الثامن
٣٣	حدود الحبشة وقتئذ
٣٥	واقعة صمبر كورى
	واقعة بادق
٣٩	ضعف السلطنة الاسلامية
	تحرش الدولة العثمانية بالحبشة

ص	الموضوع
٤٠	تأثير الاسلام فى الحبشة
٤١	النجاشى المسلم
٤٢	بقية السيف أكثر عدداً
٤٤	محمد رءوف باشا حاكم هرر
٤٥	تعدى الأحباش على هرر الاسلامية
٤٦	حرق جامع غوندار واضطهاد المسلمين
٤٧	الحملة المصرية على الحبشة
٤٨	اكراه خمسين ألفا من العامة على التنصر
٤٩٠	الانتقام الالهى من النجاشى يوحانس
٥٠	انشودة حماسية ضد المسلمين
٥١	النجاشى منليك والاسلام
٥٣	سلطنة جما الاسلامية
٥٤	كيف كانت سلطنة جما فى نظر المسلمين
٥٦	الغاء سلطنة جما الاسلامية وضمها للحبشة
٥٩	زواج الرؤس المسيحيين بالنساء المسلمات فى الحبشة
٦٠	تنصير المسلمين فى الحبشة
٦١	مواطن الاسلام داخل حدود الحبشة
٦٢	تعداد المسلمين فى الحبشة
٦٣	اسماء الشعوب الاسلامية فى الحبشة
٦٥	لغات المسلمين فى الحبشة
٦٦	المذاهب الاسلامية فى الحبشة
٦٧	نشاط المسلمين الطبيعى فى الحبشة
٦٨	الصناعة والزراعة والتجارة
٦٩	سهولة نشر الاسلام فى الحبشة بين الشعوب الوثنية

٦٦	تأثير الطرق الصوفية في نشر الاسلام
٦٧	حسنات الطرق الصوفية في الحبشة
٦٨	علاقة مسلمي الحبشة بالممالك الاسلامية
٦٩	البعثة الازهرية للحبشة
٧٥	درجة الثقافة الدينية والعلمية ، عند مسلمي الحبشة
٧٨	حالة مسلمي الحبشة بالنسبة لشعبها المسيحي
٧٩	الشريطة الزرقاء
٨٠	شهادة أجنبي خال من الغرض المسيحي . والمسلم . أمام القضاء ولائهم الرؤساء . والحكام . في المواسم
٨١	تحصيل الضرائب من المسلمين
٨٢	الممالك التي اغتصبها الحبشة من المسلمين الجيوش الخاصة ضمن الجيش العام
٨٣	تقسيم سكان الحبشة في نظر رحالة سويسري
٨٤	نقص السكان في المدن الاسلامية
٨٧	شهادة حبشي وثني
٨٩	الجمعيات الخيرية الاسلامية بالحبشة
٩٠	مرتبات قضاة الاسلام ، وأئمة المساجد ، في الحبشة المسلمون في المناطق المتاخمة للحبشة
٩٦	ولاء المسلمين . لحكومة الحبشة ، واخلاصهم
٩٨	المسلمون هم سور المملكة الحبشية
٩٩	أقوال الجرائد الاسلامية ، عن مسلمي الحبشة
١٠٠	أقوال جريدة فلسطينية
١٠٢	ما قالته مجلة الفتح
١٠٣	كيف كان الأجدر بالحبشة أن تكون
١٠٤	الخلاصة
١٠٥	الأمبراطور هيلاسيلاسي
١٠٧	واجب اللجنة العامة للدفاع عن « القضية الحبشية » نحو الاسلام
١٠٨	الخاتمة

